

أدبيات

نبع الآداب والثقافة المعاصرة

سيكولوجية الإرادة



Looloo

www.dvd4arab.com

يوسف ميخائيل أسعد



المقدمة

تعتبر الإرادة بمثابة الطاقة التي يعبر المرء بوساطتها عن أفكاره ومشاعره . وسواء ظل التعبير محصوراً في نطاق المرء ، أم خرج إلى الواقع الخارجى ، وسواء كان اعتماد هذه الطاقة بطريق شعورى أم بطريق لا شعورى ؛ فإنها فى جميع الحالات تُفصح عن حقيقة الشخصية ، وعمما يعتمل فى قوامها من فكر أو شعور وجدانى .

واهتمامنا بالإرادة قد حملنا على تأليف كتابين آخرين يدوران حولها بالإضافة إلى هذا الكتاب . الأول : هو كتاب « قوة الإرادة » والثانى : هو « إرادة القوة » . وكل كتاب من هذه الكتب الثلاثة يتناول زاوية مباحنة للزاويتين الأخرين المتعلقةتين بالكتابين الآخرين . ولعلنا نقول : إن هذا الكتاب الذى نحن بصدده الآن ، يتناول حقيقة الإرادة من حيث هى قوام سلوكى قائم برأسه . ولقد بدأناه بتقديم المعانى الخمسة للإرادة ، ثم لمقوماتها ، وعلاقتها بالحالة الصحية للمرء ، ثم لعلاقتها بالعقل والعاطفة والحب ، والشعور بالنقص والثقة بالنفس ، ثم تناولنا الأمراض والعقد النفسية التى يمكن أن تصيب إرادة المرء ، وعرضنا بعد ذلك لإرادة الهدم والبناء ، وإرادة التغيير ، وإرادة تعديل السلوك ، وإرادة التخطيط ، وإراد التنفيذ ، ولأثر الإمكانيات فى الإرادة ، ثم عرضنا لإرادة الكشف والاختراع ، والإرادة الفردية ، والإرادة الجماعية ، وتناولنا أخيراً أثر التربية فى قوة الإرادة .

وبالنسبة للمنهج الذى اتبعناه فى تأليف الكتاب ، فهو المنهج الخبرى الذى يعبر الكاتب من خلاله عن خبرته الذهنية والأدائية التى تأتت له نتيجة التفاعلات الخبرية بين جميع الحواصل الناتجة عن التحصيل

الفصل الأول معنى الإرادة

المعنى السيكولوجي :

يمر السلوك بثلاث خطوات أساسية كما يقول مكدوجال هي : الإدراك والوجدان والنزوع ، والنزوع conation هو الإرادة الكامنة قبل تحولها إلى فعل . فشرط الإرادة Will أن تكون مترجمة إلى واقع سلوكي بوساطة وسيلة أو أخرى من وسائل تجسيد النزوع خارج نطاق المرء ، أي بعد تبدييه في صورة كلام منطوق ، أو كلام مكتوب ، أو ملامح وجه ، أو تصرفات متباينة . ولعلنا نقوم فيما يلي باستعراض الخصائص التي تنتم بها الإرادة :

أولاً - الفرضية : فالسلوك الإرادي لا بد أن يتصف بالصوبو إلى تحقيق غرض معين يعتمل في قوام المرء . وحتى في حالة التجوال النومى somnambulism أى التصرفات الحركية التي يأتيها بعض النائمين كما لو أنهم في حال اليقظة برغم أنهم يغطون في النوم ، فإننا نجد أن ثمة غرضية تتبدى في سلوكهم ، بل إنهم في أحلامهم التي تتجسد على هيئة سلوك حركى باد للعيان ، يُجبلون في أذهانهم أغراضاً ييغون تحقيقها . وبناء على هذا فإننا نعتقد أن ما يذهب إليه البعض من أن ثمة تصرفات إردادية وأخرى غير إردادية - بمعنى أنها تصرفات لا تستهدف غرضاً - هو رأى لا أساس له من الصحة . فجميع التصرفات حتى اللاشعورى منها يستهدف أغراضاً معينة ،

المعرفى ، وبين الاستعدادات والميول الشخصية . وهذا المنهج الخبرى لا يتعارض مع المنهج الاستنادى الذى يعمد فيه المؤلف إلى استقراء معلوماته من المراجع المختلفة ، بل يتكامل معه ، فلا محيص للمتفحص العام وللمتخصص فى علم النفس من الاهتمام بالمنهجين ، بالإضافة إلى الاطلاع على الكتب المترجمة عن اللغات الأجنبية . فنحن بحاجة إلى هذه البروافد الثلاثة : رافد الترجمة ، ورافد البحث ، ورافد الكتابات التي تعبر عن شخصيات المؤلفين ، وعما تم لهم هضمه والتفاعل معه ، فأنت كتاباتهم عصاره ذهنية شخصية بحتة .

وهذا الكتاب يعتبر حلقة فى سلسلة ثلاثية ، تتكون من ثلاثة كتب هي :

سيكولوجية الفكر ، وسيكولوجية العاطفة ، وهذا الكتاب .

وقد قمنا بتأليف الكتب الثلاثة بهذا المنهج الخبرى الذى لا يستند إلى مراجع ، وإنما المعول فيها على الحصائل الخبرية المتأتية عن الكثير من القراءات والتأملات المستمرة فى المسائل السيكولوجية .

فبراير ١٩٩٥ يوسف ميخائيل أسعد

★ ★ ★

المعنى التعبيري :

الواقع أن السوك سلوكان : سلوك داخلي ، وسلوك خارجي .
فعندما يجيل المرء أفكاراً في ذهنه ، ويُضفي عليها صبغات وجدانية
معينة ، فإنه يكون بذلك قد أنتج سلوكاً داخلياً . وعندما يقوم بالتعبير
عن تلك الأفكار والمشاعر ، سواء بلسانه أم بقلمه ، فإنه يكون قد
استعان بالسلوك الخارجي ؛ لتحقيق ذلك . على أن السلوك الخارجي
قد يكون ترجمة مطابقة للسلوك الداخلي ، كما أنه قد يكون منحرفاً
عنه كثيراً أو قليلاً .

ولكى يكون التعبير متفقاً مع ما يعتمل في دخيلة المرء من فكر
ووجدان ؛ فإنه يجب أن يُصَف بمجموعة من الخصائص التي
نعرضها على النحو التالي :

أولاً - استخدام المناسب من الكلام المنطوق أو الكلام المكتوب :
فلكي يكون التعبير الشفوي أو التعبير التحريري متفقاً مع دخيلة
المرء ، فلا بد من اكتساب القوالب الكلامية التي تغطي المعاني التي
تجول بالذهن . ناهيك عن فنون التعبير ذاتها . فالشخص الذي لم
يتمكن من اكتساب تلك الفنون التعبيرية ، لا يستطيع أن يعبر بالطريقة
الناجعة عن أفكاره ، حتى ولو اكتسب الألفاظ التي تغطي ما يجول
بذهنه من أفكار ومشاعر .

ثانياً - سيطرة المعاني والمشاعر على الكلام المنطوق أو الكلام
المكتوب :

فحتى يتسنى مطابقة الكلام للمعاني والمشاعر ، لا بد أن يكون الشخص
المعبر بكلامه ، مسيطراً على أدوات التعبير . ذلك أن بعض الناس
يستخدمون الرطانة الكلامية ، بمعنى أن لسانهم أو قلمهم يسبق فكرهم ،
أو أنهم يكونان في واد والفكر في واد آخر . وهنا نجد أن العادات الكلامية

سواء كان المرء صاحب التصرف مدرِكاً لما يقوم به ، أم كان في
حالة لا شعورية أو شبه لا شعورية ولا يدرك ما يسعى إليه من
غرض .

ثانياً - التلبس بالفكر والوجدان : والسلوك الإرادي لا يكون خلواً
من الفكر ومن الوجدان ، بل يكون متلبساً بهما . فالإرادة لا تكون
أداءً بحتاً ، بل تكون تعبيراً وترجمة للفكر والوجدان معاً .

ثالثاً - تقييم الوسائل والنتائج : ففي جميع التصرفات الإرادية ،
يقوم المرء بعملية تقييم تشمل الوسائل التي تم بها الفعل من جهة ،
كما تشمل النتائج التي ترتبت على الفعل الذي اضطلع به المرء من
جهة أخرى .

رابعاً - تطوير السلوك الإرادي : والواقع أن ثمة نتائج تترتب
على عمليات التقييم التي يضطلع بها المرء بإزاء الوسائل والنتائج
التي تترتب على الأفعال الإرادية التي صدرت عنه . ومعنى هذا أن
السلوك لا يتوقف عند حد معين لا يتخطاه ، بل معناه أن السلوك
يتطور على نحو أو آخر مع وجود تباينات في العمليات التطويرية
وما تشتمل عليه من تعديلات سلوكية . فثمة فروق فردية بين شخص
وأخر فيما يتعلق بما يحرزه كل منهما من تطورات سلوكية إرادية .

خامساً - الارتكاز على العادات : فالفعل الإرادي بالمعنى العام
الذي ذكرناه ، أعني الفعل الشعوري والفعل الأشعوري ، ينبني على
أساس ما سبق للمرء اكتسابه من عادات . والعادات إما أن تكون
عادات عقلية ، أو عادات كلامية ، أو عادات حركية ، أو عادات
علائقية ، أو عادات تنوقية . والواقع أن هذه العادات الخمس بمثابة
أفعال إرادية خزنت بطريقة أو بأخرى في قوام شخصية المرء ،
بحيث تشكل ركائز يبنى عليها السلوك الإرادي الذي يتلو اكتسابها .

المنطوقة والمكتوبة يمكن أن تهيمن على سلوك المرء التعبيري ،
وتستولى على إرادته التعبيرية ، فيكون كثير الكلام قليل المعنى ، أو
لقد يكون كلامه غير دال على المعانى المعتملة فى عقله .

ثالثاً - الدقة فى استخدام المصطلحات : وإلى جانب سيطرة
المتكلم على أدواته التعبيرية ، فإنه يجب أن يكون متفهماً ومدركاً بدقة
ما يستخدمه من مصطلحات . فلقد تجد أحد المتحدثين يتشدد باستخدام
ألفاظ من الفلسفة أو علم النفس أو الاجتماع أو السياسة أو الاقتصاد ،
دون أن يكون مدركاً للمعانى التى تتضمنها المصطلحات التى يلوكها
لوكاً ، وقد أعجبه جرّسها ، أو يلوكها حتى يشار إليه بالبنان ، ويُعد
ضمن المواكبين لمسيرة الثقافة .

المعنى الأدائى :

لا شك أن الأداء عبارة عن ممارسة حركية ، سواء باليدين أم
بالرجلين أم باليدين والرجلين معاً . وهناك مجموعة من الخصائص
التي تتصف بها الإرادة الأدائية لعلنا نقوم بذكرها على النحو التالى :

أولاً - ارتباط الأداء بالأدوات : فمجرد دق مسمار بشاكوش يعتبر
تعبيراً عن إرادة أدائية . ومن الطبيعى أن التكنولوجياً كلما تعددت ،
فإن الأداء يرتبط عندئذ بالفكر العميق أكثر فأكثر ، بل ويحتاج إلى
دراسة دقيقة ، وإلى تدريب قد يستغرق فترة طويلة . فقيادة الطائرة
أكثر دقة من قيادة السيارة ، وقيادة السيارة أكثر دقة من قيادة الحنطور .

ثانياً - ارتباط الأداء بنمط أدائى معين : فالإرادة الأدائية تكون فى
العادة إرادة نمطية . فمن يكتسب هذا النوع من الإرادة الأدائية ،
لا يبدع فيما يقوم بأدائه ، بل يلتزم بأسلوب معين فى الأداء منقول أو
متوارث .

ثالثاً : تطور الإرادة الأدائية : فالأداء وإن كان ملتزماً بخطوط
معينة مسبقة ، فإنه يتطور مع حدوث وانتشار تطورات تكنولوجية
جديدة ، بل ومع بزوغ تكنولوجيات جديدة . فما يتدرب عليه المرء
من إرادات أدائية ، لا يظل كما هو ، بل يتطور باستمرار ، خذ مثلاً
لذلك بالكاتب الذى كان يكتب على الآلة الكاتبة ويلتزم بطريقة الكتابة
عليها باللمس . لقد أحل الكمبيوتر محلها بعد أن ظهر هذا الأخير
وانتشر وصار فى متناول اليد ورخيص الثمن نسبياً .

المعنى التائيرى :

يختلف التائير عن الأداء من حيث التغيرات التى يحدثها التائير
فى الأشياء التى يتعامل معها المرء . فالنحآت الذى يتناول الصلصال
ويصنع منه تمثالاً ، يكون قد أثر فى الصلصال ، وذلك بأن
أضفى عليه شكلاً جديداً غير الشكل الذى كان عليه قبل أن
يتاوله بفنه النحتى . وكذا يقال عن الحائك الذى يتناول القماش
ويصنع منه الملابس . إنه يُعمل إرادته التائيرية فى القماش .

وبالنسبة للتائير فى الناس ، فإننا نجد أن الطب بفنونه العلاجية
والوقائية المتباينة ، يؤثر فيمن تمارس عليهم الفنون الطبية .
ولقد بزغت إلى الوجود هندسة الوراثة ، وأخذت تؤثر فى الناس ،
وذلك بتفصيل المولود قبل أن يتكون فى بطن أمه جنيناً ،
وذلك بتحديد المواصفات التى سوف يكون عليها قبل وجوده
بالفعل .

ولولا إرادة التائير ، لما بزغت الحضارة إلى الوجود ، ولما
استطاع الإنسان أن يبتكر ما يُكسبه لها من تطورات متباينة .

والإرادة بهذا المعنى العلائقي ، تعنى إقامة علاقات جديدة لم تكن قائمة بين المرء وبين شخص آخر أو أكثر ، أو بينه وبين جماعة لها شخصيتها المستقلة عن شخصيات أفرادها ، وبين جماعة وأخرى .
والإرادة بهذا المعنى تعنى أيضاً قيام فرد أو جماعة من الجماعات بهدم علاقات قائمة . كما تعنى أخيراً تقوية أو إضعاف علاقات قائمة بالفعل .

والواقع أن هذا المعنى العلائقي للإرادة يتضمن مجموعة من المقومات التي نستطيع تحديدها على النحو التالي :

أولاً - التلقائية والقصد : فالبعض من تلك العلاقات التي تنشأ أو تنهار أو تقوى أو تضعف ، قد تحدث أو تفنى أو تتغير تلقائياً بغير قصد من جانب الأشخاص الذين يشتركون في إحداث التغييرات في قوامها ، وقد تحدث أو تفنى أو تتغير عن قصد وروية وتخطيط .

ثانياً - الفكر والعاطفة : ولا شك أن الفكر والعاطفة يلعبان دوراً بارزاً في العلاقات الاجتماعية من حيث نشأتها وتطورها أو فنائها . فالإنسان - سواء من حيث هو فرد أم من حيث هو جماعة - يُعْمَل عقله وعاطفته فيما يُقْبَل على إنشائه وعلى هدمه وعلى تقويته أو إضعافه من العلاقات الاجتماعية .

ثالثاً - الظروف والأحداث : ومما لا شك فيه أن الظروف التي تطوق حياة المرء والجماعة ، والأحداث التي تقع ، تلعب دوراً بالغ الأهمية في نشأة علاقات جديدة ، وفي هدم علاقات موجودة ، أو تقويتها أو إضعافها .

★ ★ ★

الفصل الثاني مقومات الإرادة

الركيزة الجسمية :

لقد قدمنا في الفصل السابق معنى للإرادة قد يختلف مع ما يذهب إليه كثير من المهتمين بعلم النفس . فالشائع في الأذهان أن الإرادة إذا ما ذكرت ، فلا بد أن يكون المقصود هو الإرادة القوية ، تماماً كما هو شائع بإزاء الصحة . فإذا ما ذكرت الصحة فإن الذهن ينصرف إلى التمتع بالعافية والقوة . ولكن الواقع أن الإرادة قد تكون قوية ، كما أنها قد تكون ضعيفة ، تماماً كما أن الصحة قد تكون على ما يرام ، كما أنها قد تكون مضعضة ، ولكن الواقع أن الإرادة والصحة في جميع الحالات ، لا بد أن تكونا موجودتين سواء كانتا متوافرتين لدى المرء بكثرة ، أم كانتا موجودتين لديه بقدر قليل . والواقع أن الاتجاه العلمي لا يقيم الاعتبار إلا للإيجابيات ، بينما يصرف النظر عن السلبيات . فنقيس درجة الحرارة مثلاً ، ولا نقيس درجة البرودة .

وترتكز الإرادة على المقومات الجسمية التي يحوزها المرء . فثمة الجبلة التي ورثها المرء من جهة ، وثمة الآثار المترتبة على التأثر بالبيئة المحيطة بالمرء من جهة أخرى .

ولعلنا نقوم باستعراض تلك المقومات الجسمية التي لها دخل في مدى قوة إرادة المرء على النحو التالي :

Looloo

www.dvd4arab.com

المثيرات البيئية :

من الحقائق التي ينبغي أن نضعها نصب أعيننا ، أن الإرادة لا تتأتى إلا بتفاعل المقومات الجسمية الوراثية مع المؤثرات البيئية التي يتلقاها المرء من الواقع الخارجى الطبيعى والاجتماعى . ونستطيع أن نشبه الإرادة بسرير الكهرياء . فذلك السريان لا يحدث إلا بوجود السلك السالب والسلك الموجب . فإذا شبهنا السلك الموجب بما أهل به المرء من مقومات بيولوجية ، فإن السلك السالب يكون شبيهاً بالتأثيرات التي يتلقاها المرء من خارج نطاقه .

ولعلنا نقوم باستعراض الوظائف التي تقوم بها المثيرات البيئية التي تتفاعل مع المقومات الجسمية ، فيتأتى عن ذلك التفاعل ، مانسميه الإرادة على النحو التالى :

أولاً - إيقاظ الاستعدادات والمواهب : فالواقع أن لدى كل شخص سوى ، مجموعة كبيرة وثمينة من الاستعدادات والمواهب التي لا يتسنى لها أن تخرج من نطاق الكمون إلى نطاق الواقع السلوكى ، إلا إذا تفاعلت مع المثيرات البيئية المناسبة التي يتسنى لها أن تلعب دوراً فعالاً فى التفاعلات الخيرية التي تحدث بينها وبين تلك الاستعدادات والمواهب . والشأن هنا كالأشأن بإزاء البذرة التي تظل مقوماتها فى حالة كمن إلى أن تفيض لها التفاعلات الفعالة بينها وبين مقومات القربة المناسبة والماء والهواء ، فتخرج ما لديها من استعدادات بالتفاعل ، وتستحيل إلى فسيلة ثم إلى شجرة يانعة ومثمرة .

ثانياً - المثيرات المؤقتية : ولكن على الرغم من خروج الاستعدادات والمواهب إلى الواقع السلوكى للمرء ، بعد تفاعل المثيرات الخارجية مع الكامن منها فى قلوب المرء ، فإن من

أولاً - الطاقة الحيوية : فثمة طاقة حيوية تجدد فى الجسم طالما أن المرء على قيد الحياة . فكما استهلك جانباً من طاقته الحيوية ، فإنه يأخذ فى التعويض عما فقده ، سواء نجح فى ذلك أم فشل . وعلى أية حال فكما كانت الطاقة الحيوية لدى المرء قوية ، فإن إرادته تكون بالتالى قوية . بيد أن الطاقة الحيوية ليست العامل الوحيد الذى يكفل قوة الإرادة ، فثمة عوامل أخرى نستعرضها على النحو التالى .

ثانياً - سلامة الجهاز العصبى والغدد الصماء : فالواقع أن الجهاز العصبى والغدد الصماء يلعبان دوراً خطيراً بالنسبة للإرادة . فإذا حدث خلل فى المخ ، أو إذا حدث اضطراب فى معدل إفرازات الغدد الصماء من الهورمونات فى الدم ، فإن إرادة المرء تضطرب بالتالى . وعلى العكس فكما كان الجهاز العصبى والغدد الصماء يقومان بوظائفهما على خير وجه ، فإن ذلك يكون من العوامل المرجحة لقوة الإرادة .

ثالثاً - التمثيل الغذائى : ومن العوامل التي تتدخل فى مدى تمتع المرء بقوة الإرادة ، مدى قدرة جسمه على القيام بالتمثيل الغذائى والإفادة منه ، وذلك بمدّه بالطاقة الحيوية اللازمة لممارسة أنشطته المتباينة .

رابعاً - النوم والاسترخاء : فالواقع أن الجسم بحاجة إلى قسط معين من النوم والراحة والاسترخاء . فالشخص المحروم من النوم والراحة ، والذى يظل متوتراً حتى وهو نائم ، إنما يكون معرضاً لذبول إرادته ، فلا يستطيع أن ينهض بمهام وأجباته على الوجه الأكمل .

خامساً - الهدم والبناء Metabolism : فثمة عمليتان يضطلع بهما الجسم على المستوى اللاشعورى العام ، هما عملية الهدم Katabolism والبناء Anabolism . وكلما كانت عملية البناء أقوى من عملية الهدم ، فإن ذلك يكون أدعى إلى تمتع المرء بإرادة أكثر كماً ، وأقوى فاعلية .

ثانياً - توافر المهارات : فلكي يتسنى توظيف الإمكانيات المتاحة بالبيئة ، فلا بد من اكتساب المهارات اللازمة لذلك التوظيف أو الاستثمار .

ثالثاً - مماشاة التغيرات المزاجية : فالواقع أن الأمزجة البشرية في تحوّل مستمر وفي تغيير مطّرد . ومن هنا فلا بد من مماشاة ذلك التحوّل والتغير وذلك باستغلال الإمكانيات بما يتفقّ مع النغمة المزاجية التي توصل إليها المجتمع . وبذا فإن الإرادة توظف للانسجام مع الاتجاهات التي توصل إليها المجتمع ويأخذ نفسه بها .

العادات المكتسبة :

من حسن الحظ أن ما يكتسبه المرء من خبرات لا يتلاشى بمجرد انتهاء الموقف ، بل يستحيل جانب منها مع تكرار استخدامها في المواقف المختلفة إلى عادات سلوكية . وقد سبق أن قلنا إن هناك خمسة أنواع من العادات هي العادات العقلية ، والعادات الوجدانية ، والعادات التذوقية ، والعادات الحركية ، وأخيراً العادات العلائقية .

ولاشك أن جميع العادات بمثابة نافذة تطل منها الإرادة على الواقع الخارجي . فلولا الطاقة الإرادية ما كان للإنسان أن يكتسب القدرة على ممارسة أى من هذه العادات الخمس . بيد أن العادات تساعد المرء على أن يوظف إرادته بطريقة سهلة ، أو قل بتعبير أدق بطريقة شبه لاشعورية . على أن سهولة توظيف الإرادة واعتمالها بطريقة شبه لاشعورية ، لا يعنى أن الإرادة لا تعمل . فالواقع أن الإرادة تعمل بصفة مستمرة ، سواء كان المرء في حالة شعورية ، أم في حالة لا شعورية .

الضرورى أن تتوافر المثيرات الموقفية المناسبة لتشغيل تلك الاستعدادات والمواهب فى إطار ما يناسبها من مواقف ومناسبات . فلكي يتسنى اعتمال الإرادة وتجسدها فى الواقع السلوكي للمرء ، فلا بد أن يكون مهياً بما يمكن أن يحقّزه على تشغيل استعداداته ومواهبه التي بزغت بالفعل وتبلورت فى حياته وفى شخصيته الاجتماعية .

ثالثاً - تهيئة المسرح لاعتمال الإرادة : أما المرحلة الثالثة من اعتمال المثيرات البيئية فى الاستعدادات والمواهب ، فإنها تتمثل فى إعداد المسرح السلوكي لكي تمثّل عليه أدوار الإرادة . فيغير توافر ذلك المسرح ، لا يكون للإرادة الدور الاستعراضى الذى تمثّل بوساطته الإرادة أدوارها .

الإمكانيات المتاحة :

بيد أن المسرح الذى تهيأ لاعتمال الإرادة عليه ، بحاجة إلى إمكانيات يتسنى بوساطتها توظيف الإرادة . فالخامات والأدوات والآلات والأجهزة ، تشكل الإمكانيات التى لابد من توافرها لى يتسنى اعتمال الإرادة والبرهنة على وجودها . ولعلنا نقوم باستعراض الوظائف التى تضطلع بها تلك الإمكانيات للتعبير عن مقومات الإرادة على النحو التالى :

أولاً - إشباع الرغبات والحاجات : فالواقع أنه لى يتسنى إشباع الرغبات والحاجات البشرية ، لابد أن تكون هناك إمكانيات متوافرة بالبيئة يمكن التأثير فيها وإعدادها للاستهلاك الأدمى . فالمحاصيل الزراعية مثلاً تعتبر إمكانيات تخضع للاستثمار والإعداد قبل تناولها والإفادة منها .

ومما يعمل على استثمار الإرادة وحفزها على العمل ، ما يقوم المرء بتجديده من أهداف يصبو إلى تحقيقها . فواقع الأمر أن المرء بعد أن يحقق الأهداف التي ترسمها ، فإنه إذا لم يجدد أهدافه ويترسم أهدافاً جديدة وخصبة ، فإن طاقته الإرادية تفتت ويميل إلى الخمول . ولعلنا نقوم فيما يلي باستعراض الوظائف التي تضطلع بها الأهداف التي يترسمها المرء قاصداً تحقيقها في المستقبل القريب والمستقبل البعيد :

أولاً - انفتاح طريق المستقبل : فلولا تجديد الأهداف باستمرار ، فإن طريق المستقبل ينغلق ، وتصير الدنيا التي يحيا المرء في إطارها ضيقة كأشد ما يكون الضيق . ولعلنا نزع أن الكثير من حالات الأمراض النفسية وحالات الانتحار ، تقع نتيجة عدم تجديد الأهداف . فيشعر المرء بأنه قد أفلس نفسياً ، أو أن طاقته الإرادية صارت حبيسة بدخيلته ، فتشكل في قوامه ما يشبه القبلة التي توشك على الانفجار . ولكن على العكس من هذا فإن الشخص الذي يجدد أهدافه باستمرار ، يتمتع في الغالب بالصحة النفسية الجيدة ، كما أنه لا يحس بالضيق والتبرم من الحياة ، وبالتالي فإنه لا يفكر في أن يقدم على الانتحار .

ثانياً - ارتباط الأهداف بالخطط المحققة لها : وواضح أن المرء كلما ترسم هدفاً جديداً ، فإنه يقوم بالتالي بالتخطيط له ، والاستعداد لتحقيقه وإخراجه من حيز الكمون إلى حيز الواقع الموضوعي .

ثالثاً - المساهمة في حل المشكلات : فالواقع أن ترسم الأهداف الجديدة ، يكون من العوامل الأساسية في حل المشكلات التي تضايق المرء ، وتعترض طريق تقدمه في الحياة ، أو تعمل على تعطيل مصالحه . ولعلنا نذهب إلى القول بأن اعتراض المشكلات لطريق حياة المرء ، هو الذي يستحثه على التفكير ، فيتأتى عن ذلك اشتعال نشاطه الذهني ، ثم ترسم أهداف جديدة تساعده على التغلب على الكثير من المشكلات التي تحول دون تقدمه .

★ ★ ★

الفصل الثالث الصحة والإرادة

تُخلف النمو :

لكل مستوى نمائى مقدار محدد من الطاقة النفسية التى لا يتعداها ، ولكن من الممكن أن يقل ذلك المقدار ، إذا ما اعترضت معوقات معينة طريق حياة المرء ، وحيث إن كمية الطاقة الحيوية تتوازى وتتكافأ مع كمية الإرادة المتاحة ، لذا فإن النقص فى كمية الطاقة الحيوية ، بسبب التخلف فى النمو ، يودى بالتالى إلى التخلف الإرادى . وعلاينا أن نقوم باستعراض الحالات التى يحدث فيها تخلف فى النمو على النحو التالى :

أولاً - عدم التوافق الجنسى : فلقد ثبت أن ثمة مقومات وراثية لدى المرأة والرجل قد تكون متوافقة ، كما قد تكون متنافرة . وهذا التنافر قد يكون شديداً فلا يحدث الحمل على الإطلاق ، كما أنه قد يكون تنافرًا نوعيًا ، فيحدث الحمل ، ولكن الجنين يكون ناقص النمو ، أو يكون حاملاً فى قوامه العجز عن الاستمرار فى النمو تبعاً لمراحل النمو المعروفة . فقد يتوقف نموه فى الطفولة ، أو فى المراهقة ، أو فى الشباب . وقد يكون التخلف فى النمو فى جانب معين من جسم المرء . فلقد ينمو الجهاز العضلى بشكل طبيعى ، بينما يتخلف الجهاز التناسلى عن الاستمرار فى النمو ، فيكون الرجل حاصلًا على جهاز

عضلى ممتاز ، بينما لا يعدو أن يكون جهازه التناسلى جهاز طفل لا يزيد عمره عن عشر سنوات مثلاً . وإذا نحن قلنا : إن الإرادة هى إرادات وليست إرادة واحدة ، فإننا نقول : إن رجلاً كهذا تكون لديه إرادة عضلية قوية ، بينما تكون لديه إرادة جنسية ضعيفة ، إذ إنها لا تعدو إرادة جنسية لطفل فى العاشرة .

ثانياً - أولاد الشيخوخة : فالأولاد الذين يتم إنجابهم من أب وأم شيخين بمساعدة العقاقير الحديثة التى تنشط الأعضاء التناسلية ، وتقويتها عند الطرفين ، لا يكونان خليقين بالمرور فى مراحل النمو المعروفة على نحو سوى ، بل يكونون فى الغالب قصار القامة جدًا إلى حد القزامة ، كما يكون نموهم غير متوازن ، بمعنى أن تكون بعض مقوماتهم الجسمية سوية ، وبعضها الآخر متخلفة أو مصابة بالعطب .

ثالثاً - النقص فى التغذية والهواء الطلق : فلقد يتخلف المرء عن معدلات النمو السليمة بسبب النقص فى كميات ونوعيات الطعام التى يتناولها ، أو بسبب عدم تجدد الهواء ، أو عدم تعرضه للشمس بالقدر المناسب . ذلك أن المقومات الوراثية تتفاعل مع المؤثرات الخارجية ، فيتأتى عن ذلك ، النمو بمعدل التفاعل الذى يتم ، والمرور فى مراحل النمو المعروفة . ولكن إذا لم يتوافر الغذاء والماء والهواء وأشعة الشمس بالمقادير المناسبة التى تلزم لحدوث التفاعلات فيما بين المقومات الوراثية وهذه المؤثرات الخارجية ، فإن التخلف فى النمو يكون هو النتيجة الحتمية .

الإرهاق والنهكة :

ومن العوامل الصحية التى تعمل على ضعف الإرادة بالمفهوم الكمى الكيفى الذى عرضنا له قبلاً ، إصابة المرء بالإرهاق والنهكة .

وهناك مجموعة من الأسباب التي تؤدي إلى الإرهاق والنهكة ، ولعلنا نقوم باستعراضها على النحو التالي :

أولاً - تحمّل المرء من الجهد أكثر من طاقته : فالواقع أن لكل شخص ولكل مستوى نمائي جهداً معيناً يجب ألا يتخطاه ، وألا يتقل نفسه ببذل جهد أكبر منه . ولكن تحقيق ذلك التوازن فيما بين الجهد المتاح للمرء ، وبين الأعباء التي تتناوب به ، أو تفرض عليه ، قد لا يتوافر له في حياته العملية ، وفي تعامله مع الناس ، وانخراطه وسطحه ، أو إسناد المسؤوليات إليه . فلقد تفرض على العامل أو الموظف واجبات وظيفية عليه أن يضطلع بها في مواعيد محددة ، وبطريقة معينة ، وبعدد معين من القطع المنتجة ، ولكن طاقته على بذل الجهد ، تكون أقل من أن يتسنى له الوفاء بما يفرض عليه ، ولكنه خوفاً من العقوبات التي يمكن أن تُفرض عليه ، فإنه يستمر في بذل الجهد بأكثر مما يتسنى له احتمالاً ، وبالتالي فإنه يتعرض للإصابة بالإرهاق والنهكة .

ثانياً - الاستمرار في نوعية واحدة من الأداء : ومن أسباب الإصابة بالإرهاق والنهكة ، استمرار المرء في القيام بنمط واحد من الأداء بغير تجديد أو تغيير . ولكن الواقع أن هناك علاقة بين مستوى الذكاء وبين القابلية للإحساس بالإرهاق والنهكة . فكلما كان الذكاء أكثر ارتفاعاً ، فإن المرء يحس بالملل إذا ما أُجبر على ممارسة العمل نفسه بصفة مستمرة . ولكن بالنسبة للشخصيات التي لم تحظ بالذكاء المرتفع ، فإن قيامها بالعمل الرتيب لا يرهقها ولا يصيبها بالنهكة .

ثالثاً - التوترات النفسية والعصبية : ومن عوامل الإصابة بالإرهاق والنهكة ، ما قد يصاحب به المرء من توترات نفسية وعصبية ، نتيجة ما يلاقيه من مواقف مثيرة للأعصاب ، سواء أكانت مفرحة للغاية أم

محزنة للغاية . فالجهاز العصبي والغدد الصماء إذا ما خُملت بأكثر مما تطيق ، فإن إرهابهما يترتب عليه إصابة المرء بالإرهاق والنهكة .

الأمراض الجسمية :

ومن العوامل التي تؤثر في قوة إرادة المرء ، إصابته بالأمراض العصبية والنفسية المتباينة ، وبخاصة تلك الأمراض التي تصيب المخ أو بعض الغدد الصماء التي تؤثر في النشاط الذهني . على أن الحصيلة العامة لصحة المرء تحدد المدى الذي تصل إليه قوة إرادته ، وما يمكن أن توظف فيه من مواقف اجتماعية متباينة . ولعلنا نرغم بحق أن مرحلة الشباب التي تكون في الغالب هي فترة أوج الصحة الجسمية ، تكون خلالها إرادة المرء في أعلى مراتبها ونشاطها . ولكن ثمة فروقاً فردية بهذا الصدد من جهة ، كما أن ثمة فروقاً فردية في الوجهات التي توجه إليها قوة الإرادة بالنسبة للأشخاص المتباينين من جهة أخرى . أما في مرحلة الشيخوخة ، فإن قوة الإرادة تضعف نسبياً . ولكن إذا أخذنا في اعتبارنا ما يكون غالبية الشيوخ قد حصلوه من خبرات ، ونصح في الأداء ، فإننا نجد أن الكثير من كبار السن ، يقدمون خدمات وأعمالاً عظيمة نتيجة دأبهم على العمل منذ شبابهم ، فيستثمرون خبراتهم وما اكتسبوه من مهارات أدائية واجتماعية في المجالات المتباينة .

الإصابة بالعاهاات :

ومن العوامل المؤثرة في إرادة المرء ، إصابته بعاهاة جسمية أو أكثر . ولكن تأثير العاهة في قوة إرادة المرء ، يختلف من شخص لآخر . فبالنسبة لبعض الناس ، فإن العاهة تفقدهم قدراً كبيراً من قوة إرادتهم ، بينما قد تعمل العاهة على تفتيق قدرات المرء والعمل على

ثالثاً - توافر الفرص واستغلالها : ولكن لابد أن تكون هناك فرص يتسنى للمصاب بالعاهة استغلالها واستثمارها لصالحه . فإذا ما أغلقت الأبواب أمام المصاب بالعاهة ، أو إذا توافرت الفرص أمامه ، ولكنه لم يدرك وجودها ، فإن ذلك ينكص به إلى الوراء ، بل قد يحمله على الإصابة بالجنون ، أو التوقف فى دخيلته ، والانقطاع عن ممارسة النشاط فى الحياة ، أو الإحساس بالرغبة فى الانتحار .

الحالات النفسية :

ومن العوامل الخطيرة المؤثرة فى مدى قدرة المرء على استغلال إرادته واستثمارها الاستثمار الجيد ، مدى تمتعه بالصحة النفسية الجيدة . والواقع أن هناك صلة تبادلية بين الصحة النفسية والصحة الجسمية . فبينما تؤثر الصحة النفسية فى الصحة الجسمية ، فإن الصحة الجسمية تؤثر على النحو نفسه فى الصحة النفسية . وهذا ما يعرف بالاتجاه السيكوسوماتى Psychosomatic فى النظر إلى صحة المرء . ولعلنا نقوم باستعراض العوامل النفسية المؤثرة فى قوة الإرادة على النحو التالى :

أولاً - الحب والكراهية : فمن المؤكد أن الحب يعمل على التسلح بقوة الإرادة وتأييد الموضوع المحبوب ، سواء أكان إنساناً ، أم شيئاً ، أم مبدأ ، أم شعاراً ، أم مجالاً ثقافياً . وعلى نقيض الحب ، فإن الكراهية تعمل على تثبيط الهمة وفقدان قوة الإرادة .

ثانياً - التفاؤل والتشاؤم : ومن جهة أخرى فإن التفاؤل يعمل على دعم الإرادة ، بينما يعمل التشاؤم على كبح جماحها ، والحيلولة دون استثمارها .

تبريزه فى مجال أو أكثر من المجالات التى يصب اهتمامه عليها ، ويكرس جهده لها . ولعلنا نذكر بهذه المناسبة طه حسين وهيلين كيلر والكثير من الشخصيات التى أثبتت تفوقها فى الحياة ، فنقشوا أسماءهم فى سجل التاريخ ، وصاروا مثلاً علياً ، سواء للمصابين بالعاهات ، أم للأسوياء على السواء ، فيفتقون آثارهم ، ويشحذون همهم للعمل والتفوق والتبريز مثلهم .

وهناك فى الواقع مجموعة من العوامل التى تحدد مدى تأثير العاهة فى قوة الإرادة لعلنا نقوم باستعراضها على النحو التالى :

أولاً - إلحاح المواهب : فالشخص الموهوب بمواهب قوية ، لا تتوقه العاهة أو العاهات التى ابتلى بها ، طالما أنها لا تتوقه عن التعبير عما وهبه من مواهب . فواحد مثل طه حسين على سبيل المثال ، قام بتوظيف أذنيه ، وتعويض نفسه بهما عن عينيه اللتين فقدتا الرؤية منذ طفولته ، ناهيك عن قدرته على التعبير عما كان يجول بخاطره من أفكار ، وعما كان ينسجه من أخيلة ، ومن أسلوب اختص به ، وامتاز بوساطته عن كثير من أقرانه ومعاصريه .

ثانياً - الشعور بالنقص : ومن عوامل التعويض عن الإصابة بالعاهة ، القيام بالتعويض عما يحسه المرء المصاب بالعاهة عما رزئ به . والواقع أن الشعور بالنقص وإن كان يعتبر عاملاً أساسياً بالنسبة لجميع الناس الأسوياء ، حتى يتسنى لهم التقدم فى مضامير الحياة المتباينة ، فإنه أزم بالنسبة للشخص المصاب بالعاهة أو أكثر . فالطاقة النفسية التى يبذلها فى سبيل التعويض عما أصيب به ، يكون أعظم وأفضل فى حياته .

الفصل الرابع العقل والإرادة

الإدراك الحسى والإرادة :

نحن نطل على العالم من حولنا عن طريق خمس نوافذ هي حواسنا الخمس . فعن طريقها نستقبل الإحساسات الخاصة بكل حاسة منها ، ثم تُترجم تلك الإحساسات فى مراكز الترجمة بالمخ إلى معانٍ ذهنية ، هى ما نسميه المدركات الحسية . والسؤال الذى يطرح نفسه هو : هل للإرادة دور تلعبه فى العمليات الإدراكية ؟ إننا نستطيع الإجابة عن هذا السؤال على النحو التالى :

أولاً - إن الإرادة تتدخل فى عملية الترجمة الذهنية ، أو الاستحالة من الطبيعة البيولوجية العصبية ، التى تتصف بها الشحنات العصبية المنقولة من العضو الحاس إلى مركز الترجمة بالمخ ، إلى الطبيعة المعرفية الإدراكية . وشاهد ذلك أن الكثير مما نقع عليه فى الواقع الخارجى ، لا يستحيل إلى الطبيعة المعرفية ، بل يظل على المستوى البيولوجى ، وذلك لأنه لم يترجم إلى معانٍ ذهنية فى مراكز الترجمة بالمخ . ومعنى هذا أن كمية الإرادة التى كان المطلوب توظيفها فى عملية الترجمة هذه ، لا تكفى للنهوض بذلك . فلكى تتم الترجمة إلى معانٍ ذهنية ، لابد من توافر كمية الإرادة اللازمة لذلك .

ثانياً - إن ما يعرف بالترجمة التلوية أو التبغدية ، أى إدراك الموقف بعد فوات الأوان ، كان تقابل أحد أضيقناك وجهها لوجه فى

ثالثاً - الأمل واليأس : ومن جهة ثالثة ، فإن الشعور بالأمل وافتتاح المستقبل بترحاب وتوقع النجاح والازدهار فى المستقبل ، يدفع المرء إلى تفتيق قدراته الإرادية ، فيبلو بلاءً حسناً فى كفاحه فى الحياة . وعلى العكس من هذا فإن الشعور بخيبة الأمل واليأس وانغلاق باب الرجاء أمام المرء ، يعمل على تثبيط همته ، وإصابته بضعف الإرادة .

★ ★ ★

الإرادة تلعب دوراً فيها على المستوى اللاشعوري . فهي تعكس التيار العصبى بدءاً من مراكز الترجمة بالمخ وبتمرير معكوس ، أى باستحالة الصور الذهنية إلى طاقة عصبية تمر فى الأعصاب الخاصة بالحاسة ، إلى أن تصل إلى الجهاز الحسى نفسه ، سواء أكان ذلك العضو هو العينين أم الأذنين ، فىرى المرء بأى عينيه أو يسمع بأذنيه ، كما لو أن ما يراه أو ما يسمعه واقع موضوعى خارجى بالفعل .

الذاكرة والإرادة :

عندما نذكر الظواهر النفسية كالذاكرة والإدراك والخيال والتجريد والتعميم ، فإننا نتناولها جميعاً ككثأر أو كتنانج لاعتمال الإرادة باعتبارها القوة أو الطاقة الموجبة والفاعلة ، والتي تقضى إلى إحداث تلك النتائج . ذلك أنى لا أتحكم فى تسيير هذه العمليات العقلية . فعندما تقع عيناى على موضوع خارجى ، أو عندما يصل إلى سمعى صوت ما ، فإنى لا أتحكم بإرادتى فى أن أرى ، أو أن لا أرى ، أو أن أسمع أو أن لا أسمع . فما هو العامل المتحكم إذن فى الموقف ؟ إنه الإرادة التى تسيطر على جميع تلك العمليات أو الثمار الذهنية .

وبالنسبة للذاكرة ، فلست أنا المتحكم بإرادتى فى أن أتذكر هذا ، وأن أنسى ذلك من الذكريات التى وردت إلى ذاكرتى وخزنت بها ، وإنما المتحكم هو قوة إرادتى التى تعمل على المستوى اللاشعورى فى هذه الحالات ، بينما تعمل على المستوى الشعورى فى حالات أخرى .

فى جميع الحالات ، فإن الإرادة هى القوة الفاعلة ، سواء على المستوى الشعورى ، أم على المستوى اللاشعورى . ومن الطبيعى أنه فى الحالات اللاشعورية فإنى لا أدرك أن إرادتى هى التى تعمل . ولكن كما أوضح « فرويد » فإن نشاط اللاشعور ، ونحن فى حال اليقظة ،

الشارع ، وتقع عينك عليه ، ولكنك لا تدرك شخصه أو لا تراه على الإطلاق ، وبعد لحظة من مسيرك تدرك أنه صديقك ، وتأسف لأنك لم تقم بتحيته إذ إنه شخص عزيز لديك ، وأنتك بالفعل مشتاق لروياه . فكيف تفسر هذا الموقف ؟ إن إرادتك الخاصة بهذا الموقف ، أعنى إرادة الترجمة الحسية ، لم تعمل فى الوقت المناسب لذلك الموقف ، ومن ثم فإنك لم تترجم الشحنة العصبية التى وصلت بالفعل إلى مركز الترجمة بمخك إلى معان ذهنية ، وذلك لأنها لم تجد الطاقة الإرادية اللازمة لترجمتها ، فبقيت مخزنة هناك . ولكن بعد لحظة من مرور الموقف ، فإن الشحنة الإرادية اللازمة للترجمة وصلت متأخرة إلى هناك ، وبالفعل تمت ترجمة الشحنة العصبية بنجاح ، ومن ثم فإنك أدركت أن ذلك الشخص هو صديقك . ولكن الترجمة تحققت بالفعل بعد فوات الأوان .

ثالثاً - بالنسبة للأحلام التى يراها النائم ، فإنها يمكن أن تفسر أيضاً بتلك الطاقة الإرادية التى تعمل فى هذه الحالة على نحو لاشعورى . فهى تتحكم فى الصور التذكيرية المخزنة ، وتحيلها إلى صور ذهنية تخيلية ، ثم تقدمها فى صيغ جديدة مبانة للصيغ التى كانت عليها فى الأصل ، عندما كانت صوراً تذكيرية ، وهى التى كانت قبل ذلك صوراً ذهنية إدراكية .

رابعاً - فى حالة أحلام اليقظة التى ينخرط فيها المرء وهو يقظان ، فإن الإرادة تلعب دوراً فيها أيضاً ، وذلك باستيراد صور تذكيرية وإعادة صياغتها بوساطة المخيلة .

خامساً - فى حالة الهلوسات - وهى ما يدركه الشخص المهلوس من صور ذهنية - سواء بالمشاهدة المباشرة أم بالسمع المباشر - فإنه يرى أو يسمع أشياء ليس لها رصيد من الواقع الموضوعى ، فإن

يعيد المُطلَق من تلك المكبوتات الوجدانية مع ما كانت متزوجة منه من معقولات ذهنية رُكنت وخزنت بالذاكرة .

الخيال والإرادة :

قلنا : إن الظواهر النفسية بمثابة ثمار ذهنية ، وأن الإرادة هي التي تتحكم في تسييرها . ومن بين تلك الظواهر الخيال . فنحن وإن كنا في حالة وعى أو شعور في أثناء إجلالتنا للخيال ، أو في أثناء العمليات الذهنية التي بمقتضاها نقوم بتصنيع صور ذهنية خيالية من المدركات والذكريات المخترنة في الذاكرة ، فإننا نقف عند حدود الوعي بها ، ولا نتعدى ذلك إلى درجة التحكم في خيالننا . فالمتحكم في صميم العمليات التخيلية هو قوة الإرادة . وما التفاوت بين شخص وآخر في قوة خيالهما ، إلا نتيجة التفاوت في كمية الإرادة التي تعمل في ذهن كل منهما . فصاحب الأخيلة القوية والخصبة ، شخص لديه إرادة قوية ، قامت بتوظيف الصور الذهنية وصياغتها في قوالب تخيلية مبتكرة وعظيمة ، ثم قامت بتحقيقه وإحالتها إلى واقع سلوكي بالترجمة عنها في شكل أو آخر من أشكال التعبير المتبانية .

والواقع أن قوة الإرادة لدى المرء ، قد تكون على المستوى الشعوري ، كما أنها قد تكون على المستوى اللاشعوري . وحيث إننا لا نستطيع أن نتحكم في قوة إرادتنا مباشرة ، فإننا نستطيع أن نوثر فيها بطريق غير مباشر . فما يوفره المرء لنفسه من شروط سبق أن عرضنا لها بالفصل الثاني من هذا الكتاب ، فإنه يكون بذلك قد هيا المسرح النفسي لاعتمال إرادته في مدى ما تتمتع به من فاعلية ونشاط إيجابي .

لا يقل اعتماداً وتأثيراً عنه ونحن ننامون أو فاقدو الوعي . ولعلنا نقول إن الإرادة هي في الواقع التي تعمل في نطاق الشعور واللاشعور على السواء ، وأن اللاشعور لا يزيد عن كونه مخزناً للخبرات الوجدانية . والمخزن لا يلعب دوراً إيجابياً . ويوجد في تواز مع هذا المخزن الذي تخزن فيه الخبرات الوجدانية ، الذاكرة التي هي مخزن الأفكار والوقائع والأحداث التي نتذكرها عقلياً .

وللبرهنة على ما نقوله هنا : فإننا لا نستطيع أن نستورد ما نريده من الذاكرة كما نشاء ، كما أننا لا نستطيع أن نتحكم في المكبوتات الوجدانية التي خزنت في نطاق اللاشعور . فالمتحكم فيما نتذكره أو فيما نكتبه ، أو فيما نستحثة على التعبير عن نفسه من الذكريات والمكبوتات ، هو قوة إرادتنا . فهذه القوة هي العامل النشط في حياتنا الباطنية . ولكن هذه القوة تعمل بطريقة ديناميكية مستقلة عن توجيهنا لها ، وعن سيطرتنا عليها ، تماماً كما يعمل القلب في استقلال عن إرادتنا .

فنحن نتذكر إذا ما كانت قوة الإرادة الموظفة في الموقف التذكري كافية للتذكر ، وننسى إذا كانت قوة الإرادة الموظفة في الموقف التذكري غير كافية . وكذا الحال بالنسبة للمكبوتات اللاشعورية . فالمحلل النفسي يحاول أن يوظف قوة إرادة المريض نفسياً في سبيل استخراج تلك المكبوتات الراكدة أو المشتتة بداخله في ذلك المخزن اللاشعوري . فهو بالاستمالة والتشجيع والحث واستخدام وسائله المتبانية ، يحاول أن يوجه قوة الإرادة إلى النطاق اللاشعوري ، وأن يزاوج بين اللاشعور والذاكرة . وتعبير آخر فإنه يحاول أن يحيل اللاشعوري إلى شعوري ، ويحاول أيضاً حمل الخبرات الوجدانية على التلبس بما خزنت بالذاكرة من معقولات مترابطة معها ، أو أن

إن العملية التي نتلو اعتماد المخيلة ، أو ترتفع عن مستواها الذهني ، هي عملية التجريد والتعميم . وهذه الثمار التي تتأتى عن هاتين العمليتين ، هي ما تسمى بالمفاهيم الذهنية . فكلمة « إنسان » تطلق على أى شخص فى أى مكان وفى أى زمان . وهناك مفاهيم تم التوصل إليها وتستخدم فى الحياة اليومية ، كما أن هناك مفاهيم تستجد ، وذلك لأن الحضارة تتطلب التوصل إليها . ويرجع الفضل فى هذا الصدد إلى الإرادة المعتملة فى عمليتي التجريد والتعميم . فكما قلنا : فإن ذهن البشرى ، وإن كان يعمل بطريقة ديناميكية ، فإن ديناميكيته منوطة بالإرادة التي تعمل على المستوى الشعورى وعلى المستوى اللاشعورى فى الوقت نفسه .

وبالإضافة إلى ما نتوصل إليه إرادة المرء من مفاهيم مستحدثة ، فإن قوة إرادته الشعورية أو اللاشعورية ، هي التي تقفه على طرائق استخدامها وتوظيفها . فليس الهدف هو التوصل إلى المفاهيم المجردة والمعقدة ثم التوقف عند هذا الحد ، بل الهدف هو استخدامها أو توظيفها فى مجالات النشاط العقلى والتفانى المتباينة .

★ ★ ★

الفصل الخامس العاطفة والإرادة

العاطفة المتبلورة حول الذات :

الواقع أن العاطفة عبارة عن وجدان متبلور حول موضوع ما من موضوعات الوجود ، سواء أكان وجودًا محسوسًا ، أم وجودًا معنويًا ، أم وجودًا روحانيًا ، ومن الموضوعات التي يمكن أن يتبلور الوجدان حولها ذاتية المرء . وبذا فإن العاطفة تكون متبلورة حول شخصيته واهتماماته . ولهذا التبلور مجموعة من الاعتبارات التي يجب أن نضعها نصب أعيننا على النحو التالي :

أولاً - إن إرادة الحياة تبدأ فى عملها منذ لحظة تكوين الجنين : فالواقع أن هناك إرادات متباينة تتدخل فى عملية التبلور الوجدانى . ذلك أن هذا التبلور لا يسلك مسلكًا ميكانيكيًا ، بل يسلك وفق خطة إرادية نطلق عليها اسم « إرادة الحياة » . فهذه الإرادة هي التي تتدخل بطريقة لا شعورية فى عملية بلورة الوجدان حول الذات منذ اللحظة الأولى التي يتم فيها تكوين الجنين فى بطن الأم . فلولا اعتماد تلك الإرادة فى قوام الجنين ، وفى عملية بلورة الوجدان حوله ، لما كان له إذن أن يستمر فى أحشاء الأم لحظة واحدة ، بل كان بمجرد بزوغه إلى الحياة يموت فى التو واللحظة .

ثانيًا - إرادة النمو : وإلى جانب إرادة الحياة ، توجد إرادة أخرى تعتمل فى قوام ذلك الكائن الحى الجديد الموجود فى بطن الأم . هذه

العاطفة المتبلورة حول الآخرين :

لا يقتصر تبلور العاطفة حول الذات ، بل يمتد إلى خارجها ، فيشمل الآخرين والأشياء والمجردات أيضاً . ويهمننا في هذا المقام أن نتناول تبلور العاطفة حول الآخرين ، فجد أن ثمة حالتين متباينتين لهذا التبلور على النحو التالي :

أولاً - التبلور الإيجابي : فنحن نمتص الصور الذهنية والانطباعات الوجدانية المتعلقة بالآخرين ، وهي تلك الصور والانطباعات التي نتلقاها عنهم في تواتر مستمر ، فتأخذ في التفاعل بعضها ببعض ، فيتأتى عن ذلك التفاعل مركب نفسي يحتل مكانة في ذاكرتنا من جهة ، وفي لا شعورنا من جهة أخرى . ويتنوع الأشخاص الذين نتلقى عنهم تلك الصور الذهنية والانطباعات الوجدانية ، يتشكل في قوامنا مركب نفسي جمعي هو ذلك المركب الخاص بفتة معينة من الناس ، نسميه « النحن » إذا كانوا قد حطوا بالانسجام النفسي في قوامنا النفسي ، بينما نسميه « الهم » إذا كنا لا نحس بالتناغم الودي معهم . وواضح أن جهاز « النحن » يتبلور حوله العاطفة إيجابياً ، بينما تتبلور حول جهاز « الهم » تبلوراً سلبياً .

ثانياً - التبلور السلبي : والواقع أن التبلور السلبي الذي تتخذه عواطفنا ، والذي قلنا : إنه يتمثل في « الهم » ، إما أن يكون تبلوراً يشير إلى الكراهية والنور ، وإما أن يشير إلى اللامبالاة . والواقع أن اللامبالاة لا تعني عدم الحب وعدم الكراهية في الوقت نفسه ، بل تعني الكراهية الكامنة أو المضمرة . ذلك أن الحب أقل حجماً بكثير في حياة المرء من حجم الكراهية . ولعلنا نشبه ذلك بالنور والظلام ، فكما أن النور قليل المقدار جداً إذا ما قيس بحجم الظلام الدامس في

الإرادة هي « إرادة النمو » . فالجنين لا يظل حياً فحسب ، بل يأخذ في النمو أيضاً . ومن الطبيعي أن تستمر إرادة النمو جنباً لجنب مع إرادة الحياة في قومه ، حتى بعد ميلاده ، وفي أثناء انخراطه في مراحل النمو المتتالية .

ثالثاً - إرادة تلقي الخبرات : وبعد أن يولد الطفل ويحتك بالبيئة الطبيعية والبيئة الاجتماعية ، فإن إرادة جديدة تتدخل في قومه ، هي إرادة اكتساب الخبرات . والخبرات إما أن تكون خبرات معرفية ، وإما أن تكون خبرات وجدانية ، وإما أن تكون خبرات مهارية ، وإما أن تكون خبرات تنوقية ، وإما أن تكون خبرات علائقية اجتماعية .

رابعاً - إرادة الحفاظ على الذات : وثمة إرادة أخرى تعتمل في قوام المرء ، هي إرادة صيانة الذات من الإصابة بالأضرار المتباينة ، والدفاع عن حقوقه ضد من يرغب في الاعتداء عليها واستلابها . على أن الحفاظ على الذات قد يكون حفاظاً بيولوجياً ، وقد يكون حفاظاً اقتصادياً ، أو حفاظاً خلقياً أو قيمياً .

خامساً - إرادة التنافس أو إرادة القوة : فالواقع أن الإنسان طوال حياته وهو في حالة تأهب واستعداد للتنزع بالقوة ، حتى لا ينهزم في معركة البقاء . والبقاء الذي نقصده ، قد يكون بقاء الحياة ذاتها ، وقد يكون البقاء بقاء المرء متفوقاً في الجماعة . فالإنهزام في معركة التنافس على المواقع الاجتماعية ، يعني فناء المرء فناءً معنوياً . فإرادة التنافس أو بتعبير آخر « إرادة القوة » ، هي تلك الإرادة التي تحفز المرء على التنافس ، وعلى التفوق على أقرانه المتنافسين معه في معركة البقاء الاجتماعي . (انظر كتابنا « إرادة القوة » نهضة مصر بالقاهرة) .

الكون ، كذا فإن الحب أقل نطاقاً بكثير من نطاق الكراهية . ومن هنا فإن المرء ينظر إلى أولئك الذين لا يحبهم على أنهم أعداء بالقوة ، وليسوا أعداء بالفعل . فالشخص الغريب عنك ، هو عدو لك بالقوة ، ومن لا توجه إليه حبك ، فإنك تكون على استعداد نفسك لأن تكرهه . فإذا ما تعاملت معه فربما تزيح من قلبك كراهيتك له وتحبه ، وإما أن تخرج كراهيتك له من نطاق الكمون إلى نطاق الواقع السلوكي ، فتبدى له أمارات الكراهية والبغض .

العاطفة المتبلورة حول الأشياء :

من الخطأ أن نعتقد أننا لا نرتبط بعواطفنا بالأشياء ، وأنها نقصر توجيهها إلى الذات والأشخاص فحسب . فالواقع أننا نحب أو نكره الأشياء التي تحيط بنا بالقدر نفسه الذي نحب أنفسنا ونحب الناس من حولنا أو نكرهم . وثمة عاملان يحددان نوعية البلورة العاطفية حول الأشياء ، سواء أكانت بلورة إيجابية تدل على الحب ، أم كانت بلورة سلبية تدل على الكراهية . والعاملان هما :

أولاً - اللذة والألم : فالعامل الأساسي في بث الحب في القلب ، هو الشعور باللذة ، كما أن العامل الأساسي في الشعور بالكراهية هو الألم . بيد أن الحضارة التي نحيا في كنفها ، تعمل في كثير من الأحيان وبمؤثرات معينة ، على قلب ما هو طبيعي ، وتحيله إلى ما هو حضاري . فالكثير من اللذات التي تكون وفق منطق الطبيعة محبوبة ، تصير بتأثير الحضارة مكروهة ومستكرهة ، والعكس أيضاً صحيح . فالكثير من الأشياء المؤلمة التي تكون وفق منطق الطبيعة مكروهة ومستكرهة ، تستحيل بتأثير العوامل الحضارية إلى أشياء محبوبة ومرغوب فيها . فبينما تتجه قوة الإرادة في الحالة الطبيعية إلى دعم الحب عن طريق اللذة ، فإنها في الحالة الحضارية ، تتجه إلى

دعم الحب عن طريق الألم . وأيضاً فبينما تتجه قوة الإرادة في الحالة الطبيعية إلى دعم الكراهية عن طريق الألم ، فإنها في الحالة الحضارية ، تتجه إلى دعم الكراهية عن طريق اللذة .

ثانياً - الطمأنينة والخوف : وعلى النحو نفسه ، فإن الاطمئنان إلى الأشياء من حولنا يحمّلنا على حبها ، بينما يعمل الخوف منها على كراهيتها لها . ولكن ما هو طبيعي يمكن أن ينقلب إلى ضده بتأثير الحضارة ، أو بتعبير آخر عن طريق تحويل مجرى الإرادة . فالكثير من الأنشطة الرياضية المرغوبة ، والمغامرات بالغابات وعلى قمم الجبال ، ومصارعة الثيران أو غير ذلك من أنشطة ترفيهية ، إنما تكون محفوفة بالخوف ، أو يلعب الخوف فيها دوراً ، ولكنه خوف مرغوب أو محبوب ، بينما قد تصيب الطمأنينة المستمرة ابن الحضارة بالسأم ، والشعور بأن الحياة قد صارت فارغة من المضمون المثير ، ولا تستحق أن تعاش .

وبتعبير آخر فإن قوة الإرادة تتحول عن الخط الطبيعي الذي كان من المتوقع أن تنتهجه إلى خط حضاري مستحدث بوساطة الحضارة البشرية

العاطفة المتبلورة حول المجرّدات :

أما تبلور العاطفة حول المجرّدات المعنوية كالفلسفة والأدب والفن والعلم ، أو حول القيم والاتجاهات والمبادئ الأخلاقية والعادات والتقاليد الاجتماعية التي يحس المرء نحوها بالارتباط العاطفي ويتمسك بها ؛ فإنه في الواقع يمكن أن يفهم في ضوء اعتمال قوة الإرادة في تلك المجرّدات المعنوية . ولقد سبق أن قلنا : إن تبلور الوجدان حول الموضوعات المتباينة ، قد يتم على المستوى الشعوري ، كما أنه قد يتم على المستوى اللاشعوري . على أننا ننظر إلى الشعور واللاشعور إلى بظنرة نسبية ، لا بظنرة مطلقة ،

الفصل السادس الحب والإرادة

الحب وإرادة التعلق :

عندما يتعلق شخص ما بشخص آخر ، أو بمجموعة من الأشخاص ، أو بمبدأ ، أو بهدف مستقبلي ؛ فقد يفسر تعلقه بالنتيجة التي حدثت ، أعني التعلق ، ولا يحاول البحث عن العامل الذي أحدث ذلك التعلق . ولكنه إذا أُنعم النظر ، واستقصى الأمر ، وتأمل ما يختبئ خلف ذلك العرض السلوكي ، فإنه يكتشف أن ثمة إرادة معينة ، هي التي اعتملت في النتيجة العاطفية التي نسميها « التعلق » أعني ذلك الارتباط النفسي الوجداني بين شخصين ، أو بين شخص ومجموعة ، أو بين شخص ومبدأ ، أو بين شخص وهدف مستقبلي يرنو إلى تحقيقه . وحتى عندما نقول : إن ثمة وجدانا قد تبلور حول الشخص أو الأشخاص أو الأشياء أو المبادئ أو الأهداف التي ينصب عليها التعلق ؛ فإننا نعود مرة أخرى إلى التساؤل عن العامل الذي يعتل خلف عملية التبلور الوجداني هذه ، فلا نجد إجابة شافية تريحنا ، سوى أن نقول : إن ثمة إرادة معينة هي « إرادة التعلق » هي التي تتحكم في ذلك التبلور الوجداني وتسيّره وتوجهه الوجهة التعلقية ، فيتأتى عن احتمالها ثمرة أو نتيجة هي ما يتبدى في سلوك المرء من تعلق .

ولعلنا نساءل عن المراحل التي تمر بها هذه الإرادة التعلقية حتى تثمر ثمارها التعلقية ، فنجد أن تلك المراحل يمكن أن تتحدد على النحو التالي :

وبتعبير آخر ؛ فإن ثمة تدرجًا فيما بين الشعور واللاشعور . فكل شعور يكون مشوبًا ببعض اللاشعور ، كما أن كل لا شعور يكون مشوبًا ببعض الشعور . فالحكم على أن المرء في حالة شعور أو أنه في حالة لا شعور ، إنما يصدر في ضوء الصبغة العامة التي تتصف بها حالته النفسية .

وبالنسبة لاعتماد قوة الإرادة في بلورة الوجدان حول الموضوعات المجردة ، فإننا نقول : إننا في الغالب والأعم ، نبلور وجداننا حولها ونحن في حالة وسط بين الشعور واللاشعور . ولقد نقول إن تلك الحالة الوسطى بين الشعور واللاشعور ، هي الحالة التي تسمى بالتهويم Drowsiness ، وهي الحالة التي تقع بين اليقظة والنعاس . فالمرء يضطلع وهو في هذه الحالة البيئية التهويمية ، ببلورة وجدانه حول المفاهيم والموضوعات المجردة التي يكون مدركًا لها عقليًا بعض الإدراك . وهذه الحالة نفسها هي التي يكون المرء خلالها على استعداد نفسي لتقبل ما يوحى به إليه . فالتنبه العقلي القوي يجعل المرء في حالة عقلية ناقدة وفاحصة ، ولكنه عندما يريح عقله بعض الراحة ، أو عندما يخلد إلى التهويم ؛ فإنه يكون بذلك قد أنام عقله النقدي ، وصار مستعدًا لتقبل الوجداني .

فالإرادة تعمل على هذا المستوى البيئي بين الشعور واللاشعور على خير وجه وأفضله . ومن هنا فإن المرء يكون مستعدًا خلال مراحل حياته الأولى ؛ لأن يتشرب الاتجاهات والقيم التي يجدها منتشرة حوله ، أكثر من استعداده لذلك بعد أن يشب عن الطوق وقد صار منخرطًا في مراحل العمر المتأخرة نسبيًا ، التي يكون الشعور فيها هو الغالب والمهيمن .

★ ★ ★

- ٣٦ -

أولاً - المرحلة الاقتناعية : فلكى تعمل هذه الإرادة التعلقية ، فلا بد أن تمر أولاً بمرحلة عقلانية ، فالمرء يدرك أولاً تلك المبررات التي تحمله على التعلق ، ولكنه لا يُشرك عواطفه في هذه المرحلة العقلانية ، بل يدرك الموضوع الذي سوف يتعلق به إدراكاً موضوعياً .

ثانياً - مرحلة المقارنة : وبعد المرحلة الاقتناعية ، تأتي مرحلة المقارنة بين موضوعين أو أكثر ؛ لكى يتم الاختيار من بينها ، أو لكى تتم المفاضلة . فالمرء في هذه المرحلة يقوم لا شعورياً بترتيب البدائل الموجودة بالموقف الموضوعي ، فيضع أحد هذه البدائل في المقدمة ، وبذا يتم الوقوع عليه ، واختياره باعتباره الموضوع المفضل عن باقي الموضوعات المطروحة أمام ذهن المرء .

ثالثاً - مرحلة التدفق الوجداني : وبعد مرحلة المقارنة ، تأتي مرحلة الانصياب الوجداني حول هذا الموضوع المختار الذي تم الوقوع عليه وتفضيله على باقي الموضوعات المطروحة أمام ذهن المرء ، فيغممه بطاقة وجدانية تسمح بالارتفاع به من مستوى الحيادية إلى مستوى الإيثار والتعلق .

الحب وإرادة الرعاية :

كما قلنا في الموضوع السابق : إن التعلق لا يعدو أن يكون نتيجة ، وأن وسيلته التي يتحقق بها هي ما أسميناه « إرادة التعلق » ، فإننا في هذا الموضوع نقول أيضاً : إن هناك إرادة أخرى تُحدث الرعاية يمكن أن نطلق عليها اسم « إرادة الرعاية » . وما يدفع بنا إلى ضرورة البحث عن عامل هو الذي يحمل المرء على رعاية من هم أصغر أو أضعف منه ، فيحمل لهم الحب في قلبه ، ويهفو إلى رعايتهم ، هو أن الرعاية نتيجة ، وليست وسيلة . فلا بد من الوقوف على الوسيلة

التي تتحقق بها هذه النتيجة المتمثلة في الرعاية . فنجد أنها تتمثل في إرادة الرعاية .

وهناك في الواقع مجموعة من الركائز التي تعتمد عليها « إرادة الرعاية » لعلنا نقوم بتقديمها على النحو التالي :

أولاً - الحب الدافق : فالمرء الذي يعمل الحنو في قلبه ، يجد لديه رغبة نفسية يستند إليها ، وينطلق منها . هذه الرغبة هي ذلك الحب الدافق الذي يغمر قلبه بحيث يكون بحاجة إلى التعبير عن نفسه في السلوك الذي يأتيه ، وقد أفعم قلبه بالحب الدافق ، والملتهب بالحنان .

ثانياً - البحث عن مصدر إشباع لذلك الحب : فالواقع أن الشعور بالحب يشبه إلى حد كبير الشعور بالجوع . فكما أن المرء عندما يحس بالجوع ، يجد نفسه وقد أخذ يبحث عن الطعام ؛ لكى يشبع جوعته ، كذا فإن الشخص المفعم بالحب الدافق ، يحس بجوع عاطفي ، فيحاول إشباع قلبه ، والتخلص من ذلك الجوع العاطفي ، أو قل : إن المرء في تلك الحال يشبه النهر الذي يفيض ماؤه فيمتلئ مجراه ، ثم يندفع تياره نحو الرياحات والترع والأراضي الزراعية التي تحيط بجانيبه ؛ لكى يشبعها ويروى عطشها . كذا الحال بالنسبة لمن امتلأ قلبه بالحب الدافق ؛ إنه يبحث عن أشخاص بحاجة إلى عطفه وحبه ، لكى يغدق عليهم ويشبعهم حناناً .

رابعاً - تجسيد الحب في أشياء : بيد أن صاحبنا الذي امتلأ قلبه بالحب الدافق ، وقد عثر على من هم بحاجة إلى العطف والحنان ، لا يكتفى بأن يعبر لهم عن مشاعره الحنونة ، بل إنه يجسد تلك المشاعر في أشياء ملموسة . فالأم تحنو على رضيعها فترضعه ، والغنى يحلو على الفقير فيقدم إليه الإحسان ، والقوي يحنو على

هدية متواضعة ؛ لأن مقدمها كان بمقدوره أن يقدم هدية أكثر قيمة منها .

ثانياً - العطاء المعنوي : فلقد تتجسد إرادة العطاء فى أشياء رمزية كإرسال برقية فى مناسبة مفرحة أو فى مناسبة محزنة ، وقد تتجسد إرادة العطاء فى زيارة ، أو حتى فى مجرد التعبير عن تقدير ، أو فى ابتسامة أو دعة للمشاركة الوجدانية ، أو فى قبلة صادقة ، إلى آخر تلك الألوان السلوكية المعنوية التى تتجسد إرادة العطاء من خلالها .

الحب وإرادة التضحية :

كما قلنا بإزاء الإرادات الثلاث السابقة ؛ فإن الشيء نفسه ينسحب بإزاء هذه الإرادة التى نسميها « إرادة التضحية » . فالتضحية هى الثمرة المتأتية عن اعتمال هذه الإرادة . فالحب القوى المعتمل فى القلب قد يدفع بالمرء إلى التضحية . والتضحية معناها تقديم أشياء لا يمكن تعويضها بعد تقديمها ، أو يصعب تعويضها على الأقل . والتضحيات تبدأ من الماديات إلى المعنويات . وفى قمة التضحيات تحتل التضحية بالحياة مكان الذروة . ولعلنا نقوم باستعراض هذه النوعيات من التضحية التى يمكن أن تتجسد من خلالها إرادة التضحية على النحو التالى :

أولاً - التضحية بالمال : فمن يقدم الإحسان إلى الفقراء من دخله الذى يكفيه هو وأسرته بصعوبة ، يكون مضحياً بما يقدمه ، مهما كان ذلك المال الذى يضحي به قليلاً . فالمسألة نسبية فى الواقع . والتضحية لا تقتصر على الفقراء ، بل إن الأب والأم اللذين يفضلان أولادهما على نفسيهما ، فيفضلانهم فى المأكل والملبس والترفيه ، إنما يكونان والدين مضحين .

الضعيف فيسأده ، والطبيب يحنو على المريض فيعالجه ، وقس على هذا كل من يلتهب قلبه بالحب . إنه يعمد إلى تجسيد حبه فى أشياء يقدمها إلى من يحتاج إلى حبه وعطفه متجسداً فى أشياء ، أو فى خدمات ، أو فى تخلص من مأزق ، أو فى حماية من عدو غاشم ، أو فى درء للأخطار ، أو فى غير ذلك من وسائل يمكن تجسيد الحب فى قوامها .

الحب وإرادة العطاء :

قلنا : إن التعلق والرعاية ثمرتان لاعتمال إرادة التعلق وإرادة الرعاية . وفى هذا الموضوع نقول الشيء نفسه بإزاء العطاء . ونقصد بالعطاء التعبير عن المشاعر الوجدانية . فالأصدقاء يتبادلون الهدايا فى المناسبات المتباعدة تعبيراً عن حبهم بعضهم لبعض ، وليس لأن الذى تقدم إليه الهدية يكون فى حاجة إليها . فالخطيب يقدم إلى خطيبته خاتم الخطوبة تعبيراً عن اعتزازه بها ، وعن حبه لها . والواقع أن إرادة العطاء يمكن أن تتجسد فى أشكال متباعدة لعلنا نقوم بتقديمها على النحو التالى :

أولاً - العطاء المادى : وهو ما ذكرناه من أن الضديق يقدم هدية إلى صديقه ، وأن الخطيب يقدم هدية إلى خطيبته . فإرادة العطاء تكون ترجمة عن الشعور بالحب المعتمل فى القلب ، وهو الحب الذى يحمل صاحبه على ترجمته رمزياً إلى شيء مادى . وكلما كان الحب أكثر عمقا ، فإن الهدية تكون أكثر قيمة . ولكن هناك زاوية أخرى يجب أن تؤخذ فى الاعتبار هى مدى الثراء الذى يتمتع به الشخص الذى يقدم الهدية . فقد تكون الهدية المقدمة متواضعة نسبياً ، ولكنها تعبر عن حب دافق فى قلب مقدمها الذى لا تتحمل ميزانيته تقديم هدية أكثر قيمة منها . وعلى العكس أيضاً فإن الهدية الثمينة يمكن أن تعتبر

ثانياً - التضحية بالوقت : فالمتنوع لخدمة المرضى واليتامى والمساجين ، أو المتنوع لتقوية التلاميذ فى دروسهم بالمجان ، إنما يكون شخصاً مضحياً بجهدته ووقته وعلمه وذكائه وعافيته من أجل المحتاجين إلى تلك التضحيات .

ثالثاً - التضحية بالحياة : وهذه ذروة التضحية . فمن يضحى بحياته فى سبيل دينه أو وطنه أو لإنقاذ حياة شخص عزيز إلى قلبه ، وذلك بأن يفديه من كارثة محققة ، كأن يقتحم النار ليخلصه من الموت ، فينقذه ولكنه هو شخصياً يموت من أثر النار التى أهبت جسده ، إنما يكون قد قدم حياته فداء لمن قام بإنقاذه وإخراجه من بين السنة للهب المشتعلة .

الحب وإرادة الاندماج :

ونأتى أخيراً إلى نوعية أخرى من نوعيات هذه الإرادات ، هى « إرادة الاندماج » . ونعنى بهذه الإرادة اتحاد شخصين اتحاداً قلبياً كاملاً . ويتبدى هذا بصفة خاصة فى بعض الأزواج والزوجات الذين يحبون بعضهم بعضاً حباً عميقاً إلى درجة تقمص كل منهما لشخصية الآخر ، فيفكر بفكره ، ويحب بقلبه . فكما أن آدم كان يتضمن حواء فى قوامه الجسمى ، فإن بعض بنات حواء يحبين أزواجهن إلى درجة الانصهار فى شخصياتهم ، وكأن منطق عواطفهن يقول : « إن جدتى حواء قد انبثقت من قوام جدى آدم ، وكانت مشوقة للانصهار فيه مرة أخرى بعد انفصال جسدها عن جسده . وأنا بدورى أريد أن أنصهر فى الرجل فأرجع بذلك إلى الأصل الذى كان من الطبيعى أن أظل جزءاً لا يتجزأ منه » . والواقع أن هذا النوع من الحب يتصف بالندرة ، ويشترط فيه بعض الشروط التى نعرضها على النحو التالى :

أولاً - عدم ارتباط الحب بشروط مادية : فالحبيب المنصهر فى حبيبه ، لا يقيد حبه بشروط مادية معينة . فهو يحب حبيبه لذاته ، وليس لمكاسب مالية . إنه يعيش معه على الحلو والمر ، وإذا أصاب الأسرة فقر مدقع ، فإن ذلك الفقر لا يهز عرش الحب الذى تبوءا عليه معاً .

ثانياً - حب الحبيب لذاته وليس لجماله : فالمحب المنصهر بحبه فى حبيبه لا يحبه بشرط استمرار جمال شكل حبيبه أو صحته . فمهما دبّت الشيخوخة فى الحبيب وأنت على ما كان يتصف به من جمال الجسم ، ومهما ابتلى به من أمراض قد تقعه ، أو تشله ، أو تفتت عظامه ، أو تخرسه ، أو تضعض كل قواه ، فإن المحب المنصهر يظل منصهراً فى بوتقة حب حبيبه ، ولا يريم عنه .

ثالثاً - الحياة بعده فناء : والمحب المنصهر فى بوتقة حب حبيبه ، لا يستطيع أن يذوق الحياة بعد فراق حبيبه بالموت أو بغير الموت . وحتى إذا خانته حبيبه وهجره ، فإنه يظل منصهراً بقلبه فيه ، ولا ينقل عواطفه إلى غيره مهما تقرب منه المتقربون ، ومهما تودد إليه المتوددون يخطبون وده ، ويرغبون فى الحلول محل الحبيب المفقود .

★ ★ ★

واستجاباتهم لتعامله معهم ، فيستشف منها مدى تقديرهم لمظهره
الخارجي .

ثالثاً - الحالة الصحية العامة : فالمرء يقيّم نفسه من حيث مدى
كفاءته للحياة ، وللنهوض بالأنشطة التي يرغب في النهوض بها ، أو
التي يكلف بها من قبل الآخرين . فإذا ما أحس بالعجز الجسدي ، أو
بالإرهاق بغير أن يكون قد بذل جهداً ضخماً يستدعي ذلك ، فإنه يحس
عندئذ بالابتئاس بعد أن يحس بالنقص بإزاء قيمة جسمه .

رابعاً - سلامة الحواس الخمس وبخاصة حاستا البصر والسمع :
فمن الجوانب الجوهرية المتعلقة بسلامة الجسم ، القدرة على التعامل
مع الواقع الخارجي . فإذا ما أصيب المرء في حاستي البصر والسمع
بصفة خاصة ، فإنه يحس بأن نافذتين مهمتين من النوافذ التي يطل
بواسطتها على الواقع الخارجي ، قد سدّتا أمامه ، فصار بالتالي
محروماً من الوقوف على جوانب مهمة من ذلك الواقع الخارجي .
وسواء استطاع أن يعوّض نفسه عن ذلك الفقد ، وذلك بتحميل حاسة
أخرى ما كانت تضطلع به الحاسة المفقودة من وظائف أم لم يستطع ،
فإنه يحس بالنقص بسبب فقدانه للحاسة الضائعة .

خامساً - العاهات الطبيعية والعاهات الحادثة : والمرء يقيّم نفسه
في ضوء مدى خلوه مما يلفت النظر إليه ، فيشار إليه بالدهشة أو
بالاستهزاء ، أو بمجرد التنبؤ عنه وإهماله ووضعه في مكان دنىء ،
مما يُحقر من شأنه ، فيشار إليه باحتقار أو بعطف مُمض .

وبعد أن عرضنا لهذه الجوانب الخمسة التي تخضع لتقييم المرء
لنفسه ، فيما يتعلق بجسمه ، فإننا نجد أن الناس يتباينون فيما يتعلق
بالنتائج التي تترتب على ذلك التقييم ، فينقسمون إلى فئات متباينة على
النحو التالي :

الفصل السابع الشعور بالنقص والإرادة

فيما يتعلق بالجسم :

من الحقائق التي لا تخفى على أحد ، أن كل إنسان يقوم بتقييم
جسمه من عدة زوايا ، فيحس بمزايا بعض مقوماته الجسمية ، بينما
يكتشف أن البعض الآخر من تلك المقومات ، ناقص أو شانه أو
خارج عن نطاق السوية . ولعلنا نبدأ باستعراض أهم الجوانب التي
يقوم معظم الناس بتقييمها في أجسامهم على النحو التالي :

أولاً - مدى جمال المظهر الخارجي : فأول تقييم يضطلع به المرء
تجاه جسمه ، هو المظهر العام ، من حيث تناسق الأجزاء ، والنسب
الجسمية بعضها إلى بعض ، وطول القامة ، والحجم ، والتناسق
الحركي في الجلوس والوقوف والمشى ، وملامح الوجه ، وما يعبر
به بوساطة الحركات أو النظرات . ناهيك عن الملابس التي يرتديها
المرء ، والتي تعتبر جزءاً لا يتجزأ من قوامه الجسمي في أنظار
الآخرين . فالناس المشاهدون للمرء ، لا يفصلون بين الجسم ، وبين
الملابس التي يرتديها ذلك الجسم .

ثانياً - استشفاف تقييمات الآخرين للمظهر الخارجي للمرء :
فالواقع أن المرء ، لا يستقل مستأثراً بتقييم شكله ومظهره الخارجي ،
بل إنه يقوم بعملية تنسيق بين تقييماته الشخصية لجسمه ، وبين
تقييمات الآخرين له . فهو يستمع إلى تعليقاتهم ، ويهتم بنظراتهم ،

أولاً - فئة المُتَزَوِّين المُتَكَفِّين على ذواتهم : فأفراد هذه الفئة يرغبون في النأى بعيداً عن الأُنظار ، ويؤثِّرون الوحْدَةَ وعدم مخالطة الناس ؛ حتى لا يكتشفوا ما فيهم من اعوجاجات جسمية ، وحتى لا يسمعوا منهم ما لا يرضيهم ، أو يسمعوا هزأهم بهم ، وسخريتهم منهم .

ثانياً - فئة المتفوقين : وأفراد هذه الفئة ينتحون إلى التعويض عما يحسون به من نقص في قوامهم الجسمي . فلقد يَبْزُونَ الآخرين من الأسوياء في جانب أو أكثر ، أو قد يجعلون من عيبيهم الجسمي ، وسيلة لإظهار مواهبهم ، ويبرهنون على أنه برغم ما أصابهم من عيوب جسمية ، فإنهم يمتازون بالهمة العالية ، وبالإرادة القوية التي لا تَقَل .

ثالثاً - فئة المبدعين : وأفراد هذه الفئة لا يكتفون بالتفوق على الآخرين ، بل إنهم يشقُّون طرقاً جديدة ، لم يسبق لأحد أن شقَّها ، فيصيرون بذلك أعلاماً يشار إليهم بالبنان ، أو يعتبر الواحد منهم مدرسة قائمة بذاتها ، يهجم وقها العديد من المريدين . فهم بارادتهم الصُّلبة ، وبالعكوف على أنفسهم ، واستبطان دخالهم ، والوقوف على ما في عجبته من مواهب مطمورة ، يتسنى لهم أن يَبْزُوا الملايين من العاملين في المجالات التي ينخرطون فيها ، فيبدلون فيها الجهد المثمر ، ويبدعون فيها تلك الإبداعات الجديدة . فهم يوجهون طاقاتهم الإرادية الوجهة الصائبة ، ويركزونها فيما يُعْنون فيه ، ويسيرون أغواره .

فيما يتعلّق بالمُلكية :

والى جانب تقييم المرء لجسمه ، فإنه يقوم بتقييم نفسه في ضوء ما يمتلكه من ثروة ، أو ما يتوقّع أن يمتلكه منها في المستقبل . ومن

الطبيعي أن يبنى التقييم الذي يضطلع به ، في ضوء ما يمتلكه الآخرون الذين يخالطهم . وثمة في الواقع عدة زوايا ينظر منها المرء إلى الثروة التي يمتلكها لعلنا نقدم أهمها فيما يلي :

أولاً - الدُخْل والمنصرف : فالمرء يسائل نفسه : هل ما أحصل عليه من دخل ، يساوي أو يُنْقِص أو يزيد عن المنصرف . وبتعبير آخر هل ما أحصل عليه من نقود يكفي لسد نفقاتي ونفقات أسرتي ، وتسديد التزاماتي ، أم أتى مضطر إلى أن أستدين ؟ أم أن دخلي يزيد عن مطلبي وحاجاتي ، وبالتالي فإنني أدخر الزيادة ، وأوجهها إلى استثمارات تعود عليّ وعلى الورثة من بعدى بالخير ؟

ثانياً - استمرارية الدُخْل : والمرء يسائل نفسه : هل الدخل الذي أحصل عليه يتصف بالاستمرارية ، أم أنه متقطّع ، أو غير مضمون الوجود باستمرار ؟

ثالثاً - العقارات والممتلكات الثابتة : والمرء يسائل نفسه أيضاً : هل لديه ما يدرأ عنه الحاجة إلى مد اليد للاستدانة ، إذا ما فوجئ بظروف غير مواتية ، كان يُفْصَل من عمله ، أو يكون بحاجة هو أو أحد أفراد أسرته إلى السفر للخارج لإجراء عملية جراحية تتكلف المال الطائل ؟

ومن الطبيعي أن المرء بعد أن يقوم بتقييم وضعه المالي ، ويجد أنه وضع مهدد بالخطر له ولأسرته ، فإنه يحس عندئذ بالنقص ، يعتمل في قوامه ، وما يترتب على ذلك الإحساس من إجراءات يتخذها ، إذا سمحت له قوة إرادته باتخاذها .

فيما يتعلق بالمعرفة :

ومما يعمل على شعور المرء بالنقص ، مقارنة ما يعرفه بما يعرفه الآخرون . والمعرفة معرفتان : معرفة واردة إلى ذهن المرء ، ومعرفة صادرة عنه . وتصدير المعرفة قد يكون باللسان ، وقد يكون بالقلم . وقد يكون التعبير عن المعرفة أدائياً ، وذلك عن طريق إحالة المعرفة إلى مهارات يدوية . وكذا فإن من الممكن تحويل المعرفة إلى سلوك وذلك بالتأمل الباطني ، وترقيق المشاعر . ومن الممكن أيضاً إحالة المعرفة إلى تذوق ، أو بتعبير أدق عمل مزوجة بين المعرفة والتذوق الفني أو التذوق الأدبي أو التذوق الديني . ومن الممكن إحالة المعرفة إلى مهارات جمعية ، تتعلق بالتنظيمات العلائقية التي يقوم المرء بممارستها في إقامة جمعيات أو تنظيمات اجتماعية متباينة .

ومن المؤكد أن المرء لا يستطيع أن يكون جامعاً مانعاً لكل تلك الأنشطة . ومن المؤكد أن عجزه عن ذلك ، يشعره بصغر حجمه المعرفي الخبزي . وحتى بالنسبة للمجال المعرفي الخبزي الذي يهيمه ، والذي يبلى فيه بلاءً حسناً فإنه يحس أيضاً بضالته بآزانه . ذلك أن الحضارة بتعقداتها وتطوراتها الكثيرة والمتدفقة ، وما انبثقت عنه تلك التطورات من تخصصات كثيرة ودقيقة ، تحمل المرء ، مهما كان نابغاً في المجال الذي يعمل فيه ، على أن يحس بالضآلة ، وبأنه لم يقطع إلا شوطاً ضئيلاً في ذلك المجال .

ومن الطبيعي أن هذا الشعور بالنقص فيما يتعلق بالمعرفة ، قد يدفع بالمرء إلى الانكماش على نفسه ، والانزواء بعيداً عن الأنتظار ، كما قد يدفع به إلى بذل جهد أكبر حتى يقطع أكبر شوط ممكن فيما يستهويه من نشاط معرفي خبزي . فما لا يدرك كله يمكن أن يسهم

المرء فيه بالقدر الذي يستطيعه . وهذه المسألة يتوقف حسمها على ما أهّل به المرء من قوة إرادة ، وعلى ما يستثمره منها في ممارسة حياته المعرفية الخبزية .

فيما يتعلق بالمكانة الاجتماعية :

من الحقائق التي يجب ألا تعزّب عن بالنا ، أن المرء مهما اعتكف أو انزوى بعيداً عن الأنتظار ، فإن المجتمع يلاحقه ، بل إن المرء يحمل المجتمع في قوامه النفسي فيما يسمى بالأنا الأعلى Super_Egg . فهذا الجهاز النفسي يلاحق المرء ويطلع على آراء الآخرين فيه وتقييمهم لشخصيته . فإذا أطلعته جهازه النفسي هذا ، على أن مكانته في المجتمع مكانة ضئيلة ، فإنه يبتس ، ويحس بالنقص الشديد يعتصر قلبه . ولكن قد يكون لهذا الشعور بالنقص نتائج طيبة ، إذ يعمد المرء إلى بذل الجهد ، وتوجيه إرادته إلى ما يحسن تلك المكانة ، ويرتفع بها إلى مقام عال . فكم من شخص عظيم كان في حياته الدراسية أيام طلب العلم من المتخلفين دراسياً ، وكان المجتمع المدرسي من حوله ينظر إليه بالأزدراء أو اللامبالاة ، فكان ذلك التقييم ، والوضع الهزيل الذي كان يجد نفسه فيه ، حافزاً له على التفوق والتبريز بفضل إرادته الصلبة ونفسه الطويل ، ووقوفه على ما في قوامه من مواهب مطمورة ، لم تستطع المناهج الدراسية المقررة بمعاهد التعليم الكشف عنها ، فاستثمرها هو أحسن استثمار ، وبذا فإنه ارتفع بمكانته المتدنية ، إلى مصاف العباقرة الذين خلدوا أسماءهم في سجل التاريخ .

الفصل الثامن الثقة بالنفس والإرادة

توفير الأسباب :

لأنك أن الثقة بالنفس تأتي للمرء نتيجة مجموعة من العوامل النفسية التي ينبغي علينا كشف النقاب عنها . ولعلنا نعتز عليها ونرتبها على النحو التالي :

أولاً - تقدير المواهب الشخصية : فأول خطوة يتخذها المرء في سبيل التوصل إلى الثقة بالنفس ، هي تقدير مواهبه الشخصية . فالثقة بالنفس لابد أن تتبنى على أساس متين . والأساس النفسي المتين للثقة بالنفس ، هو إيمان المرء بأنه حائز على مواهب ذات قيمة ، سواء كان قد سبق له استثمارها ، أم لم يستثمرها بعد . فطالما أنه يعتقد في أن في جعبته ما له قيمة عظيمة من المواهب ؛ فإن ذلك يدفع به إلى الشعور بالثقة بالنفس .

ثانياً - انتفاع طريق استثمار المواهب : ولكن لا يكفي أن يؤمن المرء بأن لديه في قوامه مواهب ذات قيمة عظيمة ، بل يجب أن يحس بأن الطريق المؤدى إلى استثمارها مفتوح أمامه . وبتعبير آخر عدم تعذر الاستفادة من تلك المواهب المظمورة بدخيلة المرء . ذلك أن وجود المواهب شيء ، واستثمارها شيء آخر .

ثالثاً - توافر المتلقين : ولكي يحس المرء بالثقة بالنفس ، فلا بد أن يجد أن ما تسفر عنه استثماراته لمواهبه ، سوف يجد قبولاً لدى

المتلقين عنه . فالثقة بالنفس لا تتأتى للمرء إلا إذا أحس بأن بينه وبين المتلقين عنه طريقاً مفتوحاً ، وأن ما يمكن أن يقدمه إليهم ، سوف يحظى بالرضا والقبول لديهم .

رابعاً - وسائل التعبير عن الذات : ومن المقومات التي ينبغي أن تتوفر للمرء حتى يحس بالثقة بالنفس ، توافر وسائل التعبير عن ذاته . بيد أن هناك إلى جانب توافر وسائل التعبير عن الذات ، الفنون المتعلقة باستخدام تلك الوسائل التعبيرية بحيث تكون فعالة ومؤثرة في البيئة الاجتماعية التي يتعامل المرء معها .

خامساً - خصوصية الشخصية : فمن الشروط التي يجب أن تتوفر للشخصية حتى يتسنى لها إحراز الثقة بالنفس ، أن تكون شخصية خصبة ، سواء أكانت تلك الخصوبة متعلقة بالمعرفة ، أم بقنون التعبير ، أم بالمهارات اليدوية والاجتماعية ، أم بالقدرة على التطلع إلى المستقبل ، وتوقع الأحداث والنتائج التي سوف تتأتى بعد وقت يقصر أو يطول .

ولعلنا نتساءل بعد هذا عن دور الإرادة في هذه الاستعدادات التي عرضنا لها بالبند الخمسة السابقة ، بحيث تكفل توفير الثقة بالنفس ، فنجد أنها يمكن أن تتحدد على النحو التالي :

أولاً - اعتماد الإرادة : فجميع البنود الخمسة التي ذكرناها آنفاً ، لا يمكن توافرها بحيث تكون جاهزة للعمل والفاعلية ، إلا إذا كان للإرادة دور فيها . فالإرادة كما قلنا ، عبارة عن طاقة نفسية تدفع أي نشاط يعجز المرء النهوض به إلى العمل والفاعلية ، سواء على مستوى شعوري أم على مستوى لا شعوري .

ثانياً - نسبة الاعتماد الإرادي : والواقع أن اعتماد الإرادة لا يكون بنفس القدر بصفة مستمرة . فمن الحقائق الثابتة ، أن التيار

الإرادى قد يفتّر فى بعض الأحيان ، وقد يكون نشيطاً وقويًا فى أحيان أخرى . ففى الأوقات التى يكون التيار ضعيفاً خلالها ، فإن الاستعدادات التى ذكرناها ، لا تأتى بثمارها على الوجه الأكمل .

ثالثاً - دور المرء فى تقوية تيار الإرادة : بيد أن هذا لا يعنى أن ليس أمام المرء سوى أن يقف موقفًا سلبيًا عندما يضعف تيار إرادته ، بل إنه يستطيع أن ينشط ذلك التيار ويقويه إذا ما اتخذ زمام المبادرة ، وركز ذهنه على دخيلته ، واستبعد الغشاة التى تغطى طريق أدائه . فما لم يبادر المرء بإيقاظ إرادته ، فإنها تضمحل أكثر فأكثر ، إلى أن يتوقف التيار الإرادى تمامًا ، وبالتالي فإن المرء يفقد ثقته فى نفسه تمامًا .

إزالة العقبات :

مهما عمد المرء إلى توفير الأسباب أو العوامل التى تؤدى إلى اعتمال ثقته فى نفسه ، فلا يكون فى غنى عن العمل بصفة دائمة على إزالة العقبات ، واستبعاد المثيرات الرديئة التى تفتت فى عضده ، أو التى تعترض طريق ثقته فى نفسه . ولعلنا نقوم باستعراض أهم تلك العقبات التى تعترض الطريق نحو الشعور بالثقة بالنفس على النحو التالى :

أولاً - العقبات المزاجية : فالواقع أن المرء مهما كان مستقر المزاج ، فإن ذلك الاستقرار المزاجى لا يمكن أن يتصف بالاستمرارية وعدم التغير . فواقع الأمر أن أكثر الناس استقراراً من الناحية النفسية ، يتعرضون من وقت لآخر لبعض الانحرافات المزاجية . ولعلنا نقول أكثر من هذا إن أكثر الناس تفاؤلاً ، يمكن أن تنتابهم بعض اللحظات التى يجدون أنفسهم خلالها متشائمين . فعلى المرء أن يبحث عن

ثالثاً - العقبات الاجتماعية : قد يكون المرء فى وضع اجتماعى مهين لأسباب تتعلق به شخصيًا ، أو تتعلق بأسرته أو بأصله العائلى ، أو بغير ذلك من أسباب . فإذا تسنى له أن يعدل من فكرة الناس عنه بالتمسك الطرق المناسبة لذلك ، أو إذا كان بمقدوره أن يغير البيئة الاجتماعية التى لم يلق فيها النجاح فى علاقاته مع المتعاملين معه ، فعليه ألا يتأخر عن ذلك وأن يتخذ الخطوات العملية ؛ لإزالة تلك العقبات من طريق حياته .

الإيحاء الذاتى :

هناك نوعان من الإيحاء : إيحاء يصدره شخص إلى شخص آخر ، أو إلى مجموعة من الأشخاص ، وإيحاء ذاتى يوجه المرء إلى نفسه . والواقع أن الشخصيات التى تتمتع بالثقة بالنفس ، تعمل إرادتها عن طريق ما توجهه إلى قوامها النفسى من إيحاءات ذاتية من وقت لآخر على النحو التالى :

أولاً - الاعتكاف والاعتكاف على الذات : فلكي يكون الإحياء الذاتي ذا فاعلية في قوام المرء النفسي ، فإن عليه أن يُعد نفسه لتقبل الإحياء . وهذا لا يتم إلا إذا خلا لنفسه ، واعتكف وانكفأ على ذاته . وبتعبير آخر فإن المرء في ذلك الوضع الاعتكافي ، يتخلص من عوامل التشثيت الخارجية ، حتى يهيئ المناخ النفسي الذي يسمح له بتوجيه الإحياءات الذاتية إلى نفسه بفاعلية وتأثير عميق .

ثانياً - الاسترخاء العصبي والنفسي : فشرط الاعتكاف الناجح أو الخطوة التي سوف يتم خلالها الإحياء الذاتي ، الانخراط في حالة استرخاء عصبي ونفسي . فعلى المرء أن يجلس على مقعد مريح ، وأن يبدأ بفحص عضلات جسمه ، ابتداء من عضلات الوجه حتى عضلات القدمين . فإذا وجد أي عضلة ما من عضلات جسمه متوترة ، فعليه بإرخائها ، وهذا من السهولة بمكان . وعليه بعد ذلك أن يبدأ في الاسترخاء النفسي ، سواء باستدعاء بعض الأفكار المبهجة ، أو بعض المواقف التي يمكن أن تبعث السرور في قلبه ، أو بالاستعانة بالموسيقى الهادئة الحاملة ، التي يكون لها تأثير انسجمي في قوامه النفسي .

ثالثاً - تسجيل كل خاطرة ترد إلى ذهنه : فمن شروط الإحياء الذاتي ، القيام بهذه العملية التسجيلية بغير تكلف أو تنظيم . فعلى المرء أن يترك ذهنه يتطرق إلى أي فكرة أو إلى أي موقف ، ويقوم بتسجيله كتابة على الفور . وعند عثوره على فكرة مهمة ، أو ذات أثر عميق في نفسه ، فعليه بالتركيز عليها وتقليبها على أوجهها الممكنة .
رابعاً - بعد قيام المرء بهذه العملية الاستيطانية بالكتابة السريعة ، فإنه يكون مستعداً عندئذ لتقبل الإحياءات التي يقدمها إلى نفسه . ومن

الإحياءات ما يكون متعلقاً بالماضي ، فيهيون المرء من أهمية الجوانب السلبية التي عملت على الحط من معنويته ، بينما يدعم الجوانب الإيجابية المشجعة . وبالنسبة للحاضر ، فإنه يفعل الشيء نفسه . أما بالنسبة للمستقبل ، فإنه يسائل نفسه عن أول خطوة سوف يبدأ بها نشاطه . وعندما يبلور الخطوة الأولى ، فعليه بتأملها لتقويتها نفسياً وجعلها تحمل طاقة إرادية قوية .

خامساً - البدء فوراً دون تمهل : أخيراً على المرء أن يبدأ في تنفيذ تلك الخطوة الأولى ، سواء أكانت عبارة عن تجهيز للتنفيذ ، أم أن التنفيذ يكون فورياً بالفعل . وهذا التنفيذ نفسه شاهد على ما يكون المرء قد أعدّه بالفعل من طاقة إرادية تتبدى فاعليتها في أثنائه .

★ ★ ★

الفصل التاسع

أمراض الإرادة

برود الإرادة :

من الأمراض التي تصيب الإرادة ما قد يعثورها من برود ، فلا تستطيع أن تضطلع بوظائفها كما يجب . ومن أهم الأعراض التي تتبدى في هذا المرض ما يأتي :

أولاً - العجز عن أداء العمل : فالواقع أن كل نشاط يضطلع به المرء ، بحاجة إلى قدر معين من الإرادة . فإذا كان النشاط الذي يعتزم القيام به ، بحاجة إلى قدر معين من الإرادة ملائم لحجمه وخطورته ، ولكنه لا يستطيع تجهيز ذلك الكم المطلوب منها ، فيقف بالتالي عاجزاً عن النهوض بذلك النشاط ، فإن هذا يشير إذن إلى ما أصاب إرادته من مرض البرود الإرادي .

ثانياً - العجز عن درء الخطر : ومن أعراض البرود الإرادي ، ما يبدو في سلوك المرء من عجز عن صد الأخطار المُحدقة به ، أو التي تهدد حياته وحياة نويه . فالمصاب بالبرود الإرادي يقف مكتوف اليدين أمام التهديدات المصوبة نحوه ، فلا يستطيع أن يحرك ساكناً ، بينما يكون الخوف والهلع قد أخذاً به كل مأخذ ، واشتعل قلبه بالفزع الهائل .

ثالثاً - العجز عن المشاركة الوجدانية : فالمصاب بهذا البرود الإرادي ، يكون مصاباً في بعض الأحيان بالبرود الوجداني . فهو لا

يستطيع أن يشعر بما يشعر به الآخرون من حوله من فرح أو حزن . ويتبدى البرود الإرادي في عدم القدرة على تقديم السلوك المعبر عن المشاركة الوجدانية كالابتسام أو انفراج ملامح الوجه تعبيراً عن السرور ، أو تقطيب الجبين أو ذرف الدموع تعبيراً عن الحزن . ولقد لا يكون المرء مصاباً بالبرود الوجداني ، ولكنه يكون مصاباً بالبرود الإرادي . فعلى الرغم من اشتعال مشاعره بما يعتمل في مشاعر المحيطين به ، فإنه لا يستطيع التعبير عنها في سلوكه الظاهري ، فيتهم بالبرود الوجداني مع أنه متجاوب وجدائياً وبارد إرادياً .

رابعاً - العجز عن الحركة : ومن أعراض مرض البرود الإرادي ، عدم قدرة المرء على التحرك من مكانه . فعلى الرغم من أنه لا يكون مصاباً بالشلل أو بالضعف البدني ، فإنه لا يستطيع أن ينهض من سريره إذا كان نائماً ، ولا أن ينهض من كرسيه إذا كان جالساً ، بل ولا يستطيع أن يبتسم أو أن يضحك أو أن ينادي أحداً ، أو أن يضطلع بأي نشاط كأننا ما يكون ، مهما كان نشاطاً بغير حاجة إلى بذل جهد كبير .

خامساً - العجز عن قضاء الحاجة وعن الاستحمام : وفي الحالات الشديدة من الإصابة بالبرود الإرادي ، فإن المريض لا يستطيع أن يتوجه إلى دورة المياه ، ولا أن يستحم ، ولا أن يعتنى بجسمه من حيث النظافة ، والتخلص من العرق والتقاويرات التي تلحق بالجسم . وفي هذه الحالات لابد من إخضاع المريض للإشراف المباشر والعناية به كأنه طفل ولابد لا حول له ولا قوة ، ولا إرادة لديه على الإطلاق .

تفجير الإرادة :

وفي مقابل مرض برود الإرادة ، نجد مرضاً آخر على نقيضه هو التفجير الإرادي . ولهذا المرض عدة أعراض لعلنا تقدمها على النحو التالي :

أولاً - عدم تناسب الجهد المبذول مع النشاط المطلوب :
فالمصاب بالتفجر الإرادى يبذل جهداً إرادياً ضخماً للنهوض بعمل بسيط أو تافه . فهو يشبه من يدفع ألف جنيه مثلاً لشراء بضعة أرغفة . فالمال المنصرف أكثر بكثير من قيمة ما يشتريه .

ثانياً - الشعور بالتوتر الشديد : فالمصاب بالتفجر الإرادى يحس بأن ما يقبل عليه من نشاط ، مهما كان ضئيلاً ، إنما هو عمل خطير . ومن ثم فإنه يتوتر عصبياً . وأكثر من هذا فإنه يظل على هذا الحال حتى بعد أن ينتهى من أداء ذلك العمل البسيط الذى أعد له طاقة عصبية وإرادية ضخمة . فلأنه مستمر فى الاضطلاع بالأعمال الضخام حتى وهو قابع وحده لا يعمل شيئاً . فسيريان طاقته الإرادية يستمر ، سواء قبل الإقدام على العمل ، أم بعد الانتهاء منه .

ثالثاً - الإحساس بالتعب الشديد وبالإنهكة : والمصاب بهذا المرض ، يحس دائماً بأنه منهوك القوى ، ويستمر فى التشكى لمن حوله بأنه متقل بالمسئوليات والمهام الضخمة ، وأن صحته لا تساعده على الوفاء بالتزاماته بغير شعور بالتعب والعناء . وواقع الأمر أن السبب لا يكمن فى كثرة المسئوليات المنوطة به ، بل السبب هو إصابته بالتفجر الإرادى الذى يجعله فى حالة من التعب الشديد ، وعدم القدرة على التحمل .

رابعاً - أحلام النوم وأحلام اليقظة : والمصاب بمرض التفجر الإرادى لا يستمر تفجره وهو فى حال اليقظة والوعى فحسب ، بل إنه يستمر فى تفجره الإرادى على المستويين الشعورى واللاشعورى . فهو عندما يخطر فى النوم ، وتدور فى مخيلته الأحلام ؛ فإنه يبذل فى أثناءها جهداً إرادياً هائلاً ، فيقوم من النوم وهو يتصعب عرقاً ،

كما يكون لاهث الأنفاس ، وقد أخذ قلبه يدق بسرعة ، كما يرتفع ضغط دمه إلى حد أكبر من المعتاد وهو يقظان . وهذا يكون حاله أيضاً وهو منخرط فى أحلام اليقظة . فهو يبذل جهداً إرادياً فيها كما لو أنه فى مجابهة مواقف واقعية شديدة الوقع وخطيرة النتائج .

خامساً - الاندفاع بغير تروى أو إجابة للفكر : ومن مظاهر هذا المرض الإرادى أيضاً ، اندفاع المصاب به نحو القيام بالأنشطة المتباينة بكل ما لديه من طاقة أو مال ، دون مدارس المجالات التى يندفع نحوها ، ودون أن يكون له باع فيها . فهو يجعل من تدفقه الإرادى نبراسه ، دون أن يحتل عقله أو تفكيره المتروى أى اهتمام . فكل أنشطته تكون نزوية منهورة ، فلا تبقى ولا تذر ، ولا تتبصر بالنتائج التى كثيراً ما تكون نتائج وخيمة للغاية .

تذبذب الإرادة :

ومن الأمراض التى قد تصاب بها الإرادة ، المرض الذى نطلق عليه اسم « تذبذب الإرادة » . فالمصاب بهذا المرض يتقدم برجل ويرجع بأخرى ، أو يتخذ بضع خطوات إلى الأمام ، ثم يعود القهقرى بعدة خطوات أخرى . فهو ما يكاد يبدأ فى تنفيذ أحد المشروعات حتى يحس بالكرهية تجاهه ، ويتوقف عن الاستمرار فيه ، بعد أن يكون قد أنفق فيه الكثير من المال ، أو بعد أن يكون قد أبرم اتفاقات وتعهدات لتنفيذه فى مواعيد محددة . وإبك لتجد المؤلف المصاب بهذا المرض الإرادى ، ينتقل من موضوع إلى آخر ، فيكتب عدة صفحات فى واحد منها ، ثم يمزقها ، ويبدأ فى الكتابة فى موضوع جديد ، ولكن الموضوع الجديد لا يكون أسعد حظاً من الموضوع الأول ، فيكون نصيبه التمزيق أيضاً . وهكذا يستمر صاحبنا فى التنقل من موضوع لآخر ، دون أن يستمر فى أى من الموضوعات التى يكتب فيها ،

بل يمزجها جميعاً ، ولا يتسنى له الاستمرار في أى عمل حتى نهايته .

تقطع الإرادة :

ومن الأمراض التي قد تصيب الإرادة ما يمكن أن نسميه بتقطع الإرادة . فالمصاب بهذا المرض الإرادى يكون قوى الإرادة في بعض الأوقات ، بينما يكون خافت الإرادة في أوقات أخرى . فبينما تجده قد شمر عن ساعد الجد ، وبدأ في تنفيذ الأعمال التي رتبها وخطط للقيام بها ؛ فإنه يصاب بعد وقت قصير بتقوّر في إرادته فيقع صريع ذلك التقوّر ويتوقف عن أداء العمل ، أو تجده قد صار بطيئاً جداً في الأداء ، وقد شحن أداؤه بالأخطاء الخطيرة . ولكنه بعد فترة طويلة أو قصيرة ، ينهض من جديد ويعود إلى سابق عهده ، فيكون قوى الإرادة . ولكن بالأسف فإنه لا يستمر على هذا الحال من قوة الإرادة ، إلا فترة قصيرة ؛ حتى يعاوده هبوطه الإرادى . فهو بين صعود وهبوط ، أو بين تدفق وانحسار عن الاستمرار في النشاط الإرادى .

والواقع أن للتقطع الإرادى الذى يصاب به كثير من الناس مجموعة من الأسباب التي نستطيع تقديم أهمها على النحو التالى :

أولاً - عدم الثقة فى المستقبل : فالطالب المتحمس لدراسته ، والذى يبذل جهداً إرادياً قوياً فى متابعة دروسه ، عندما يشاهد خريجى كليته متعطلين ويلهون على نواصى الشوارع ، فإنه يفتر ، ويتوقف عن بذل المقدار نفسه من الجهد الإرادى الذى ظل يبذله قبل ذلك . ولكنه بعد بضعة أيام يرجع إلى سابق عهده ، وقد أخذ يفتح نفسه ، بأن عليه أن يضطلع بمسئوليته الدراسية ، ولا ينظر إلى ما سوف يكون عليه المستقبل . فربما تتعدل الأحوال ، ويكون حظه أفضل من حظ السابقين ، الذين تخرجوا ولم يجدوا وظائف يعملون بها . ولكنه بعد فترة يعود إلى ما كان قد ران عليه من فكر أسود ،

فيكاد أن يتوقف عن الاستدكار . وهكذا يستمر بين جذب ودفع بإزاء الاستمرار وعدم الاستمرار فى الاستدكار .

ثانياً - عدم استقرار الحالة الجسمية : فقد تمر على المرء أوقات يكون جهازه العصبى وغدده الصماء خلالها على ما يرام ، وفى أوقات أخرى يكونان فى حالة خمول أو اضطراب . ففى الوقت الذى يعملان فيه بانتظام وسوية ، فإن المرء يبذل تياراً إرادياً فيما يضطلع به من مهام بما يناسبها . ولكن فى الأوقات التى تضطرب فيها أنشطة هذين الجهازين ، فإن النشاط الإرادى لديه يهتز عن العمل بانتظام .

ثالثاً - وقوع أحداث مفاجئة أو مشتتة للانتباه : ومن عوامل تقطع الإرادة ، عدم استمرار الأحداث والوقائع الحياتية بانتظام ، بل حدوث مفاجآت أو وقوع أحداث غير متوقعة ، تعمل على تقطيع أوصال التيار الإرادى ، فلا يظل مستمراً بإزاء النشاط الذى كان المرء منخرطاً فيه ، وبإذلاً الجهد لإنجازه .

توقع الإرادة :

ونأتى أخيراً إلى هذا المرض الذى قد يصيب الإرادة ، وهو التوقع الإرادى فى نطاق ضيق لا يتعداه . وهذا المرض يصيب الأشخاص غير الطموحين ومحدودى الأفق الذين يعيشون فى إطار ضيق لا يتعدونه إلى سواه . فكل أملهم معقود على الأنشطة التى يحتويها ذلك الإطار الضيق . وهناك فى الواقع مجموعة من الأسباب التى تعمل على الإصابة بهذا المرض لعلنا نقوم بتقديم أهمها على النحو التالى :

أولاً - الفقر الثقافي : فالشخص الذى لم يتسع أفقه الثقافى بسبب التربية التى نشأته فى نطاق ضيق ، وحرمته من استنشاق عبير الثقافة الفسيحة ، كثيراً ما يصاب بالتوقع الإرادى ؛ وذلك لأنه يحبس تياره الإرادى فى نطاق ثقافته المحدودة الضيقة .

ثانياً - الحدود الجغرافية الضيقة : فالشخص الذى لا يخرج عن نطاق بينته المحلية الضيقة ، أو عن نطاق أسرته أو قبيلته ، كثيراً ما يكون عرضة لهذا المرض الإرادى .

ثالثاً - الخوف من الجديد : فلقد يكون المرء مصاباً بالخوف من التطرق إلى أى مجال جديد لنلا يفشل فيه ، فيظل حياً فى نطاق ضيق من النشاط والفكر ، ويصاب بالتالى بالتوقع الإرادى .

★ ★ ★

الفصل العاشر العقد النفسية والإرادة

تعويق الإرادة :

قبل أن نعرض لأثر العقد النفسية فى تعويق الإرادة ، علينا أن نلقى الضوء على مفهوم العقد النفسية ، فنجد أن هذا المفهوم يتضمن الجوانب التالية :

أولاً - الأفكار الثابتة : فالمصاب بالعقد النفسية ، يكون مركزاً ذهنه ووجدانه فى بؤر ذهنية معينة لا يريم عنها ، هى ما نسميه بالأفكار الثابتة . من ذلك مثلاً سيطرة فكرة أن النساء جميعاً شريرات ، أو أنهن أعوان الشيطان على الأرض ، واستيلاؤها على ذهن أحد الشبان وعلى مشاعره ، مما يشير أو يعبر عن العقدة النفسية التى تمكنت من نفسه ضد النساء .

ثانياً - الأحلام الرمزية : ومن أعراض العقد النفسية ، ما يشاهده المرء من أحلام غير صريحة ، بل مغلقة فى هينات رمزية . فذلك الشاب المصاب بالعقدة النفسية ضد النساء ، قد يرى فى أحلامه لبوة تهاجمه أو تتربص به الدوائر . فتلك اللبوة التى يراها فى أحلامه ترمز إلى فنة النساء اللائى اكتسب عقدة نفسية ضدهن . فصار يكرههن من جهة ، ويخشاهن من جهة أخرى .

ثالثاً - التطرف الفكرى : والمصاب بعقدة نفسية معينة ، يعلن على الملأ عكس ما يعتمل لا شعورياً بدخيلته ، وعلى مستوىه اللاشعورى .

ثانياً - التعويق الجنسي : فالشاب الذي كان يجد صدأً ونفوراً من جانب البنات في طفولته ، والذي لم يوفق في إقامة أية صداقة مع أي بنت خلال مرحلة المراهقة ، يكتسب عقدة نفسية ضد أي نشاط جنسى . وبالتالي فإنه لدى انخراطه في الزواج ، لا يستطيع أن يمارس الجنس مع عروسه . ولا يكون عجزه عن ممارسة الجنس لأسباب بيولوجية ، بل لأسباب نفسية ، هي اعتمال تلك العقدة النفسية الجنسية في قوامه ، مما عمل على عدم لياقته للممارسة الجنسية .

ثالثاً - التعويق العضلي : فالطبيب الذي نسي المشروط في بطن المريض الذي قام بإجراء عملية جراحية له ، فتعرض بالتالي لصدمة نفسية نتيجة هذا الموقف المخزى ؛ فإنه بعد ذلك لم يعد يستطيع الإمساك بالمشروط . وإذا اضطر لذلك ، فإنه يصاب برعشة كأنه شخص مصاب بالشلل في يده . فالعقدة النفسية التي أصابته بإزاء ممارسة الجراحة ، صارت تشكل حاجزاً معوقاً بينه وبينها .

الانعكاس الإرادى :

الواقع أن الإرادة هي الطاقة التي يمكن أن تكون إيجابية فتدفع إلى الفعل ، كما يمكن أن تكون سلبية فتحول دون القيام به . فبالإرادة نفع وتقدم التصرفات المتباعدة ، وبالإرادة نمتنع عن القيام ببعض التصرفات التي نرى أن من الواجب علينا ألا نضطلع بها .

والعقد النفسية كثيراً ما تعمل على عكس ما يتمشى مع السوية . فهي قد تحول دون قيام المرء بما يجب أن يضطلع به ، كما أنها قد تدفعه إلى الإتيان بالتصرفات التي كان يجب ألا يأتيها . ولنضرب مثالين يدلان على ما تقوم به العقد النفسية بهذا الصدد من عكس إرادى :

فالشاب المصاب بالعقدة النفسية ضد فئة من النساء ، قد يبدي لكل امرأة أو شابة يقابلها ، الكثير من التقدير المبالغ فيه والاحترام الزائد . فلكن هناك خوفاً محتملاً لاشعورياً بدخيلته من أن ينكشف أمره ، فيصير متبوءاً من جانب معارفه من النساء ، فيبالغ في التعبير عما يسيطر على لا شعوره بشكل عكسي . وكذا فإن المجرم الخارج على القانون ، والذي عانى ما عاناه في غياهب السجون ، فصار رجل الشرطة يرهبه في دخيلته ، ويخيفه في لا شعوره ، يبدي غير ما يعمل بدخيلته ، فيتودد إلى كل رجل شرطة يقابله ، ويقدم له التحية والإكبار ويتقرب منه ، ويبدي من السلوك التعظيمي قدرًا مبالغاً فيه . فهو بذلك يحاول لا شعورياً أن يخبي عقده النفسية ضد رجل الشرطة .

وبعد أن استعرضنا هذه النقاط الثلاث الخاصة بالأعراض السلوكية التي تحبر عن وجود العقدة النفسية ، فإننا نتناول الكيفية التي تعمل بها العقد النفسية ، على تعويق السلوك الإرادى على النحو التالي :

أولاً - الفشل في اكتساب الخبرة : فالعقدة النفسية تشكل حاجزاً بين المرء وبين المجالات التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتلك العقدة النفسية . فالشخص الذي اكتسب عقدة نفسية ضد مادة الحساب مثلاً ، لأن المعلم في الابتدائي أو والدين بالبيت كانوا يضرّبونه ويفرضون عليه العقوبات وهو طفل إذا ما أخطأ في حل أي عملية حسابية ، يجد نفسه نايباً عن أي موقف ، يفرض عليه فيه أن يقوم بإجراء أية عملية حسابية ، مهما كانت سهلة . فالعقدة النفسية ضد الحساب تنتشط وتحذر من اقتحام تلك المسألة وغيرها والقيام بحلها ، فينكص دونها ، ويقف عاجزاً حيالها ، ولا يجرؤ على سير أغوارها . وبالتالي فإنه لا يستطيع أن يتقدم خطوة واحدة في اكتساب الخبرات المتعلقة بالحساب ، أو الرياضيات بصفة عامة .

أولاً - مقابلة الإحسان بالإساءة : فالعقدة النفسية التي تعتمل في شخصيات كثير من الناس منذ طفولتهم ، تحملهم على مقابلة المعروف بالشر ، والخدمة بالإيذاء ، والحب بالكراهية . فما يسمى بالشر المعتمل في قلوب ناكرى الجميل ، لا يعدو في حقيقة الأمر أن يكون عقدة نفسية تمكنت من شخصياتهم ، وقد اكتسبها ناكرو الجميل منذ بواكير حياتهم .

ثانياً - مقابلة التجبر بالتقدير والإجلال : ومن العقد النفسية التي يكون المرء قد اكتسبها منذ طفولته أو خلال المراهقة ، ما يحمله على أن يحب مضطهديه ، أو أن يحس بإزاء من يستذلونه بالتقدير والاحترام . فإذا ما أصيب من تجبر عليه بسوء ، فإن مشاعر صاحب العقدة النفسية تتلم كأشد ما يكون الانتلام . وهذا يتبدى بوضوح عندما يكون الأب قاسياً على أولاده ، وقد عمل على مصادرة حريتهم ، فلا يكون لهم رأى أو موقف . فإذا ما أصابه أذى ، فإن شخصياتهم تتحطم ، ويبيكونه بمرارة وحسرة . والشئ نفسه يحدث بإزاء الشعب الذى تولى أمره حاكم مستبد ، فصادر حريته مصادرة تامة . فعند قتله أو إزاحته عن سدة الحكم ، فإن الشعب يأخذ في التخبب عليه . فالعقدة النفسية التي أصابتهم تحملهم على تمجيد من قام بمصادرة حريتهم . فبدلاً من التعبير عن الكراهية ، يعبرون عن الحب ، وبدلاً من المودة ، يتحسرون على الأيام الخوالي التي كان خلالها ذلك الطاغى يمسك برقابهم ، ويشيع الرعب والخوف في قلوبهم .

الانحراف الإرادى :

يتبدى الانحراف الإرادى في شخصية الابن الذى ينهج نهجاً مبيناً للنهج الذى شاع بأسرته . فتجد أن الابن الذى نشأ في أسرة متديّنة

ولكن لظروف معينة اكتسب عقدة نفسية ضد أسرته ، فإنه يعلن إحداه ، وعدم إيمانه بالمعتقدات الدينية . وفي هذه الحالة لا يكون الإلحاد مبنياً على أسس عقلانية ، بل يكون مبنياً على أسس نفسية ، تتمثل في تلك العقدة النفسية التي حملته على نبذ الدين كعلامة على الانحراف عما تواضعت عليه أسرته . فهو يخرج بذلك عن نطاقها ، ويعلن عصيانه عليها ، وعلى القيم الدينية التي تؤمن بها .

ولقد يتبدى الانحراف عن السوية بسبب العقد النفسية فيما يصدر عن الشخص من تصرفات خاصة بالمسائل المالية . فمثلاً الزوجة التي نشأت في أسرة تتسم باليخل ، فتسبب بخل أسرتهما في إصابتها بعقدة نفسية ضد المال . ومن ثمّ فإنها بعد أن تزوجت ، صارت مبدرة بل ومبعدة . فهي تفتن في الإنفاق ببذخ وإسراف في منافذ إنفاقية لا تستحق ما تنفقه فيها من مال ، وما تبدده من رأس مال أسرتهما الجديدة المسئولة عنها . فبدلاً من أن توازن بين الدخل والمنصرف ، فإنها تنفق كل قرش يصل إلى يدها بغير تفكير في تحقيق التوازن المالى ، ولا تعمل حساباً للمفاجآت التي قد تبرز دون توقع في المستقبل .

الإصابة بالانحراف الجنسى :

قد تعمل العقد النفسية على الإصابة بالانحراف الجنسى . والواقع أن الانحراف الجنسى هو في حقيقته انحراف في تيار الإرادة . فمن المعلوم أن السلوك الجنسى السوى هو ذلك السلوك الذى يتحقق فيه التوافق بين القيم الاجتماعية والدينية من جهة ، وبين الاتجاهات النفسية المتعلقة بدخيلة المرء من جهة أخرى . فإذا ما انحرف السلوك النفسى عن القيم الاجتماعية والدينية الشائعة بالمجتمع ؛ فإن ذلك الانحراف يشير إلى وجود عقدة نفسية هي التي تسببت في انحراف

التيار الإرادي عن طريقه السوى . والانحرافات الجنسية التي تسببها العقد النفسية يمكن أن تتحدد على النحو التالي :

أولاً - التشنّت الجنسي : فالشخص السوى يتسم بالثبوتية فيما يتعلق بالحب والزواج . فهو يكرس قلبه لزوجته ، ولا يتطلع إلى مصادر جنسية خارج نطاق عش الزوجية ، ولكن المصاب بعقدة نفسية جنسية ، لا يستطيع أن يكرس جسمه وقلبه ومشاعره لزوجة واحدة ، بل يتطلع دائماً إلى مصادر أخرى للنهم الشهوى الجنسي خارج نطاق عش الزوجية .

ثانياً - ممارسة الاستمناء بعد الزواج : ومن الانحرافات الجنسية التي تصيب إرادة المرء التي تتجم عن العقد النفسية ، استمرار المرء في ممارسة الاستمناء بعد الزواج . وهذا الانحراف قد يصيب الرجل كما قد يصيب المرأة .

ثالثاً - الجنسية المثلية : ومن الانحرافات الجنسية التي تسببها العقد النفسية ، والتي تعمل على الانحراف بالإرادة عن الطريق السوى ، ما قد يبدو من ميول أو من ممارسات جنسية تتعلق بأفراد من الجنس نفسه . فالمرأة تنحو إلى السحاق ، بينما ينحو الرجل إلى اللواط .

رابعاً - احتدام الرغبات الجنسية برغم العُتة : ومن الانحرافات الجنسية التي تصيب بعض الرجال نتيجة ما أصيبوا به من عقد نفسية ، تشوفهم إلى مصادر جنسية متجددة برغم عجزهم عن ممارسة الجنس . فالواحد من هذه الفئة يبدو أنه صاحب بنية جسمية جنسية متينة ، مع أن ذلك مخالف للواقع . فهو برغم فقدانه كل لياقة جنسية جسمية ، فإنه يتشوّف إلى مغازلة من يقابلهن من البنات والسيدات .

فحقيقة أمر شخص كهذا أنه عنين ، وأن ما يديه من شوق إلى الجنس المقابل ، لا يدعو أن يكون تغطية لا شعورية يخبئ بها عجزه الجنسي . والمحرك لإرادة الغزل في هذه الحالة هو تلك العقدة النفسية المعتملة في قوامه .

خامساً - إلقاء التهم الجنسية يميناً ويساراً : والمصاب بالانحراف الجنسي بسبب ما أصيب به من عقدة نفسية ، يكون دائم الاتهام لمن يتعامل معهم بالانحرافات الجنسية . فهو يقوم بعملية إسقاط على غيره . فما يحس به من انحراف جنسي يتهم الآخرين بالإصابة به .

★ ★ ★

الفصل الحادى عشر إرادة الهدم وإرادة البناء

المستوى البيولوجى :

إن الهدم والبناء اللذين يحدثان فى جسم الإنسان - وفى أجسام الكثير من الكائنات الحية الأخرى - إنما هما نتيجتان لاعتمال إرادة البناء من جهة ، وإرادة الهدم من جهة أخرى خلف القوام البيولوجى للإنسان ، أو للكائنات الحية التى تتبدى فيها هاتان الظاهرتان . ونحن من جهتنا نستبعد وصف هاتين الظاهرتين بأنهما نقطتا الانطلاق للهدم إلا إذا اعتبرناهما مقدمة لنتائج بيولوجية تالية . أما أن تعتبرنا النقطة الأولى التى ينطلق منها نشاط الجسم ، فهذا ما نرفضه . وما نؤمن به هو وجود إرادة بيولوجية إيجابية هى إرادة البناء ، وإرادة أخرى سلبية هى إرادة الهدم . وهاتان الإرادتان تُمسكان بقياد هذه العملية المزدوجة ، أعنى البناء والهدم .

ولعلنا نلقى الضوء على هاتين الإرادتين البيولوجيتين اللتين تتحكمان وتسيران هاتين الظاهرتين ، فنجد أنهما تتصفان بمجموعة من الخصائص التى نستطيع تقديمها على النحو التالى :

أولاً - تحقيق التوازن فى نطاق الفرد : فالإرادة البيولوجية تعمل على تحقيق التوازن فيما بين ما يفقده جسم الكائن الحى من جهة ، وبين ما يستعيد من جهة أخرى . فلولاً ذلك التوازن ، إذن لخرج الكائن الحى عن نطاق السوية ، ذلك أنه إذا ما طغت إرادة الهدم على

إرادة البناء ، فإن الكائن الحى يموت ، ولا يتسنى له الاستمرار على قيد الحياة سوى فترة وجيزة جداً . فهذا التوازن النسبى بين إرادة الهدم وإرادة البناء ، يسمح باستمرار الكائن الحى الإنسانى عبر مراحل النمو المتتالية ، التى تبدأ من المرحلة الجنينية حتى مرحلة الشيخوخة .

ثانياً - تحقيق التوازن فى نطاق النوع : وإذا نحن نظرنا بنظرة عامة إلى النوع البشرى ، وإلى الأنواع المتباينة من الكائنات الحية ، واعتبرنا الموت هدمًا ، والميلاد بناءً ، إذن لوجدنا أن إرادة الهدم وإرادة البناء تحققان التوازن فيما بين فناء بعض أفراد النوع البشرى وغير البشرى ، وبين بزوغ أفراد آخرين إلى الوجود بحيث يتحقق التوازن فيما بين المنصرم والوارد من أفراد النوع .

ثالثاً - تحقيق دورة النمو والحياة : فأرادة الهدم وإرادة البناء الحيويتان تساعدان على تحقيق النمو للفرد والنوع على السواء . فالفرد بدءًا من المرحلة الجنينية ، يأخذ فى النمو ، وذلك بفضل رجحان كفة البناء على كفة الهدم . وكذا الحال بإزاء النوع . فما يفقده النوع البشرى وأنواع الكائنات الحية الأخرى من أفراد بالموت ، أقل عددًا - فى الغالب - مما يولد ويشق طريقه إلى النمو والبقاء حتى الشيخوخة .

رابعاً - التعويض الوجودى عما يُفقد بالهدم : وإرادة الهدم وإرادة البناء تحملان على تعويض المرء عما يهدم من مقوماته . فخلايا الجسم التى تهتم يتم التعويض عنها بخلايا جديدة تبرز إلى الوجود . والشعر الذى يتساقط من الرأس ينبت محله شعر آخر جديد . والأسنان اللبنية تتساقط وتحل محلها أسنان معمرة تظل موجودة حتى الشيخوخة فى الغالب .

خامساً - التعويض الوظيفي عما يُهدم : فما قد يصيب المرء من هدم أو فساد لبعض مقوماته ؛ فإن إرادة البناء تعوّضه عما انهدم ، أو فسد ، وذلك بأن تحمّل جانباً جسيماً آخر ، الوظائف التي كانت منوطة بالعضو الذي أصابه الانهدام . فمثلاً إذا أصاب العطب إحدى الكليتين ، فإن الكلية الأخرى تقوم بعملها وعمل الكلية التي انعطبت . وقس على هذا الكثير من التعويضات التي تتبدى في حياة الإنسان والكانتات الحية . فإذا ما أصيب عضو ما بالعطب ، فإن عضواً آخر يحل محله ، أو يحاول التعويض عما كان يضطلع به من وظائف .

المستوى الوجداني :

كما أن إرادة الهدم وإرادة البناء تعتملان على المستوى البيولوجي ، فإنهما تعتملان أيضاً على المستوى الوجداني ، فالوجدان يتبلور حول بعض الموضوعات ، بينما يتحلل ما سبق أن تبلور من وجدانات . وهذه العملية المزدوجة يمكن أن تتبدى على النحو التالي :

أولاً - الحب والكراهية : فالحب هو تبلور الوجدان حول موضوع ما من الموضوعات المتباينة ، سواء أكان شخصاً ، أم كائناً حياً ، أم شيئاً ، أم فكرة ، أم اعتقاداً ، أم غير ذلك من الموضوعات المحسوسة والمجردة . أما الكراهية ، فهي هدم ذلك التبلور الوجداني . وما يتبدى من حقد أو عنوان أو غير ذلك من ألوان سلوكية تدل على الكراهية ، إنما هي بمثابة نتائج لتحلل البلورات الوجدانية التي كانت متماسكة ثم تحللت .

ثانياً - الشعور بالجمال والشعور بالقبح : وعلى النحو نفسه ، فإن ما يحس به الفرد من جمال في شيء ما من الأشياء ، إنما هو نتيجة لاعتمال إرادة البناء ، أما الشعور بالقبح ؛ فإنه نتيجة اعتمال إرادة الهدم .

ثالثاً - التفاؤل والتشاؤم : فما يحس به المرء من تفاؤل ، إنما يكون نتيجة لاعتمال إرادة البناء . أما شعوره بالتشاؤم فإنه نتيجة اعتمال إرادة الهدم .

رابعاً - الفرح والحزن : وعلى النحو نفسه ، فإننا نستطيع أن نقول : إن الشعور بالفرح ؛ إنما هو اعتمال لإرادة البناء . أما الشعور بالحزن ، فإنه اعتمال لإرادة الهدم .

خامساً - الطمأنينة والخوف : وكما هو الحال بإزاء الفرح والحزن ، كذا الحال بإزاء الطمأنينة والخوف . فالشعور بالطمأنينة ، إنما هو نتيجة لاعتمال إرادة البناء . أما الشعور بالخوف ، فهو نتيجة لاعتمال إرادة الهدم .

المستوى العقلاي :

وإرادة البناء وإرادة الهدم تعتملان أيضاً على المستوى العقلاي . ولعلنا نقوم فيما يلي بتقديم أمثلة لاعتمال هاتين الإرادتين على المستوى العقلاي :

أولاً - الصواب والخطأ : فما يخطئ فيه المرء على المستوى العقلي ، إنما يكون نتيجة لاعتمال إرادة الهدم . وعلى العكس من هذا ، فإن ما يصيب فيه المرء ، يكون نتيجة لاعتمال إرادة البناء .

ثانياً - الإدراك الحسي الموضوعي والهלוوسة : فما يدركه المرء من موضوعات محسوسة ، ويكون له رصيد من الواقع الموضوعي الخارجي ، إنما يكون نتيجة لاعتمال إرادة البناء ، أما الهلوسات المرئية أو السمعية أو غيرها من هلوسات تتعلق بالحواس الثلاث الباقية ، فإنها نتيجة لاعتمال إرادة الهدم في الوظيفة الإدراكية . ذلك

أن هذه الإرادة تعمل على انعكاس التيار العصبي ، فبدلاً من صدوره من الحاسة إلى مركز الترجمة بالمخ ، فإنه يتخذ الطريق العكسي ، فيبدأ من مركز الترجمة الخاصة بالحاسة بالمخ ، وينتهي إلى الجهاز الحسي فيرى المرء أو يسمع أو يشم أو يذوق أو يلمس أشياء ليس لها رصيد من الواقع الموضوعي الخارجى .

ثالثاً - التوقعات الموضوعية والتوقعات الوهمية : وعلى النحو نفسه ، فإن إرادة البناء تعتمل في التوقعات الموضوعية الصحيحة ، بينما تعتمل إرادة الهدم في التوقعات الوهمية التي لا تتحقق . فعلى الرغم من أن المرء في الحالتين يلقى ببصيرته إلى المستقبل ، فإنه في الحالة الأولى يلتزم بالحقائق الموضوعية ، بينما تكون توقعاته في الحالة الثانية خالية من الحقيقة ، ولا تعدو أن تكون مجرد أوام خالية من المضمون .

المستوى التكنولوجي :

وإرادة الهدم والبناء ، تعتمل أيضاً على المستوى التكنولوجي . والواقع أن التكنولوجيا قد بدأت مع قيام الحضارة البشرية . فأول فأس نُقِتْ في الأرض كانت تكنولوجيا ، وأول عصا استخدمت في العدوان على الناس بالضرب أو في الدفاع عن النفس كانت تكنولوجيا أيضاً . وتدرجت التكنولوجيا من البسيط إلى المركب عبر الزمان . ولقد كانت إرادة الهدم وإرادة البناء معتملتين فأفضيتا إلى ظهور التكنولوجيا الجديدة ، وإلى تفويض التكنولوجيات القديمة التي ثبت أن التكنولوجيات الجديدة قد أفرغتها من المضمون الوظيفي الذي كانت تتمتع به . وفيما يلي نقدم جانباً من تلك التكنولوجيات التي بزغت إلى الوجود والتكنولوجيات التي تقوضت أركانها :

أولاً - فيما يتعلق بالزراعة : فإننا نجد أن إرادة البناء قد ظلت تعمل في فنون الزراعة المتباينة ، وكانت كل تكنولوجيا زراعية جديدة ، تعمل على انطفاء فاعلية بعض التكنولوجيات السابقة ، وذلك باعتماد إرادة الهدم . فالمحراث الألى حل محل المحراث اليدوي وأيضاً المحراث الذي تجره الثيران .

ثانياً - فيما يتعلق بالصناعة : وعلى النحو نفسه ، فإن إرادة البناء ظلت تعتمل في المجالات الصناعية المتباينة ، بينما كانت إرادة الهدم تعتمل من جهة أخرى ، فظلت الصناعات في مختلف المجالات تتطور بفعل إرادتي البناء والهدم . فعن طريق إرادة البناء ، أخذت صناعات جديدة تظهر وتحتل أماكن الصناعات التي كانت تهدم بوساطة إرادة الهدم .

ثالثاً - فيما يتعلق بالدفاع والحرب : والشئ نفسه ينسحب بإزاء الأسلحة ووسائل الدفاع والهجوم . فبوساطة إرادة البناء ، كانت هناك وسائل وأسلحة وفنون قتالية جديدة تنشأ ، بينما كانت هناك وسائل وأسلحة وفنون قتالية أخرى تخفى من بين الوسائل المستخدمة ؛ وذلك بسبب اعتماد إرادة الهدم .

المستوى الاجتماعي :

وكذا فإنه على المستوى العلانقي الاجتماعي ، ظلت إرادة البناء وإرادة الهدم تعتملان فيما ينشأ من علاقات بين الأفراد بعضهم وبعض ، وبين أحد الأفراد وإحدى المجموعات ، وبين جماعة وأخرى . ولعلنا نقوم بتقديم بعض الجوانب التي تعتمل فيها إرادة البناء وإرادة الهدم على النحو التالي :

أولاً - الزواج والطلاق : فالزواج علاقة اجتماعية تعتمل فيها

الفصل الثاني عشر إرادة التغيير

التغيير السيكولوجي :

لا بد أن نقرر حقيقة مهمة ، هي أن الوجود بأسره - سواء أكان وجوداً مادياً أم وجوداً سيكولوجياً - يخضع لقانون واحد هو قانون التغيير . بيد أن هذا القانون الذي يفرض على الكون مبدأ التغيير ، يخضع للطاقة التي نسميها الإرادة . فالإرادة تعمل في الوجود ، وتعمل على إحداث التغييرات المتباينة به ، سواء تدخل الإنسان في إحداث تلك التغييرات أم لم يتدخل .

بيد أن الإرادة الإنسانية تلعب دوراً مهماً وخطيراً في السيطرة على تيار الإرادة ، وفي توجيهه وجهات لم يكن لها أن تحدث لولاها . ولعلنا نستعرض فيما يلي ما تؤثر به الإرادة الإنسانية في تيار الإرادة العام والشامل للوجود :

أولاً - التركيز والتخفيف : فالواقع أن الإرادة الإنسانية تتحكم في بلورة الوجدان الفردي حول محاور فردية ، كما أنها تتحكم في بلورة الوجدان الجمعي حول محاور جمعية . ومن ثم فإن الفرد الواحد يتباين في مزاجه ، وفيما ينحو إليه من اتجاهات ، وفيما يوجه إليه أنشطته من وجهات ، تبعاً لتغير الكثافة التي تتأتى عن تركيز الإرادة أو تخفيفها حول محاور الاهتمام المتباينة . وما يقال عن الأفراد ، ينسحب أيضاً بإزاء المجتمع . فما يحدث من تغير في اتجاهات المجتمع ، إنما يتأتى عن تأثير الأفراد المشكّلين له في توجيه التيار

إرادة البناء . وعلى نقيض هذه العلاقة الإيجابية ، نجد أن الطلاق هو فسخ تلك العلاقة التي كانت قائمة بفعل اعتماد إرادة الهدم .

ثانياً - الصداقة والعداء : فالصداقة هي قيام علاقة بين قلبين بفعل إرادة البناء . ولكن لسبب أو آخر فإن تلك العلاقة يمكن أن تنهدم لتحل محلها علاقة العداء . فمن كانا صديقين قد يستحيلان إلى عدوين ، وذلك بفعل إرادة الهدم .

ثالثاً - التعاون والتنافس : فالتعاون هو تجميع القوى والجهود بعضها إلى بعض ، وتوجيهها في تيار واحد بقصد تحقيق أهداف مشتركة بين المتعاونين . أما التنافس فهو عبارة عن تصادم الرغبات ، والتوق إلى الاستئثار بتحقيق هدف معين ، وحرمان من ينشب التنافس معهم من تحقيق الهدف نفسه . والواقع أن التعاون يتم بفضل وبفاعلية إرادة البناء ، بينما ينشب التنافس بين الأفراد والجماعات نتيجة اعتماد إرادة الهدم .

★ ★ ★

التغيير الوظيفي :

علينا أولاً أن نلقى الضوء على مفهوم التغيير الوظيفي ؛ حتى يتسنى لنا بعد ذلك أن نتناول اعتماد الإرادة البشرية في ذلك التغيير . فالمقصود بالتغيير الوظيفي عدة مقومات على النحو التالي :

أولاً - تغيير الوسائل المستخدمة : فأول معنى يتبادر إلى الذهن بزاء التغيير الوظيفي ، إحلال وسيلة أفضل للأداء محل وسيلة أخرى مستخدمة ، وذلك لأنها توفر الوقت أو النفقات ، أو تؤدي العمل بشكل أفضل ، وبطريقة أسهل . من ذلك مثلاً إحلال الآلة الكاتبة محل القلم ، وإحلال الكمبيوتر محل الآلة الكاتبة . أو استخدام الكمبيوتر في حفظ المعلومات بدلاً من حفظها بالأضابير .

ثانياً - إحلال مهارة جديدة محل مهارة قديمة : ولكي يتسنى تغيير الوسائل المستخدمة لأداء الأعمال والنهوض بالأنشطة المتباينة ، فإن على المرء أن يكتسب مهارات جديدة يتسنى بواسطتها استخدام الوسائل الجديدة . فلكي يتسنى للمرء إحلال الآلة الكاتبة محل القلم ، فعليه أن يبدأ أولاً بالتمرن على الكتابة عليها ، ولكي يتسنى له إحلال الكمبيوتر محل الآلة الكاتبة ، فإن عليه أن يبدأ أولاً بالتمرن على وسائل استخدامه .

ثالثاً - تغيير وظيفة المرء والمهام الملقاة على عاتقه : والتغيير الوظيفي يعنى أيضاً تغيير المواقع الوظيفية ، أو إحلال أشخاص محل آخرين ؛ فلكي يتم تغيير الوسائل المستخدمة ، ولكي يتم - أيضاً - إحلال مهارات جديدة محل المهارات القديمة ، فإن الأمر قد يتطلب القيام بإعداد صف جديد من العاملين ، وهو ما يحتاج إلى فترة من الزمن . فإلى أن يتم إعدادهم وتدريبهم على المهارات الجديدة ، ولكي

الإرادى العام ، من حيث تركيز التيار الإرادى أو تخفيفه بإزاء المجتمع . فما يحدث من تغير في اتجاهات المجتمع ، إنما يتأتى عن تأثير الأفراد المشكّلين له في توجيه التيار الإرادى العام ، من حيث تركيز التيار الإرادى أو تخفيفه بإزاء الاتجاهات الاجتماعية التى تنتجها إليها دقة نشاط المجتمع .

ثانياً - إرادة الابتكار والاختراع : وكذا فإن الفرد يقوم بتوجيه إرادة الابتكار والاختراع إلى الواقع من حوله . ويكون ذلك التوجيه والتعديل فى تناول الأشياء ؛ نتيجة ما تم بلورته من أفكار جديدة خاصة بالكشف عن الزوايا المخبوءة ، التى لم يسبق لأحد أن كشف النقاب عنها من جهة ، وأيضاً بتشكيل أشياء جديدة أو اختراع أدوات أو آلات أو تكنولوجيا جديدة من جهة ثانية . ناهيك عن أن الفرد يقوم بتجديد المناهج التى ينظر بها إلى الأشياء ، وبإزاء طرائق تناولها واستخدامها .

ثالثاً - تعديل التقييمات : ومن المجالات التى يتم فيها إعادة توجيه الإرادة ، ما كان متعلقاً بالقيم . فالقيم وإن كانت ثابتة إلى حد بعيد ؛ فإن توظيفها فى الواقع العملى يتطور مع تطور الحضارة ، ومع ما يطرأ على الشخصية من تطورات نفسية وثقافية . فثمة نسبة فى مدى الاستمسك بالقيم المتباينة . فمع تطور الشخصية ؛ فإن المرء يكتشف زوايا كثيرة يمكن أن ينظر منها إلى القيم التى ظل مستمسكاً بها . فبعد أن كان قبل تطور شخصيته ينظر إلى تلك القيم من زاوية واحدة ، أو من زوايا قليلة ، فإنه بعد تطور شخصيته يأخذ فى تناولها من عدة زوايا ، فيقارن ويفاضل فيما بينها ؛ حتى يقع على الزاوية التى يفضلها ويحدها عن باقى الزوايا الأخرى .

لا يتوقف العمل ، فإن الموظفين القدامى يستمرون في أداء العمل بالطريقة القديمة ، حتى يجهز مقر العمل بالتجهيزات الجديدة ، وحتى يكون مسرح العمل مهياً لحلول الصف الجديد من الموظفين محلهم . أما الموظفون القدامى فإنهم إما أن يتولوا أعمالاً أخرى ، وإما أن يرسلوا إلى جهة التدريب لإعدادهم بالمهارات الجديدة ، أو بمهارات أخرى لاحقة . ذلك أن التغييرات الوظيفية متلاحقة ومتدفقة بغير توقف على الإطلاق . وبالتالي فإن عمليات التجهيز والتدريب تستمر في توالٍ بغير توقف على الإطلاق .

أما الدور الذي تضطلع به الإرادة البشرية في التغييرات الوظيفية ، فمن الممكن أن نقدمه على النحو التالي :

أولاً - إرادة ملاحقة التطورات : فلكي يتسنى النهوض بالتغييرات الوظيفية المتلاحقة ؛ فإن على المسؤولين عن مواقع الأعمال أن يلاحقوا التطورات المتدفقة التي تحدث في نطاق الأعمال ، وفي وسائل تسييرها لدى الدول التي سبقتنا ، أو أن يأخذوا بما يقوم به المجددون المحليون من تطويرات ويقدمونها إلى سوق العمل .

ثانياً - إرادة التعاون والتنافس : فهذه الإرادة تحفز العاملين في كل قطاع من قطاعات الأعمال المتباعدة على التعاون بعضهم مع بعض من جهة ، وعلى التنافس مع الآخرين الذين يشتغلون بنفس العمل في الداخل والخارج على السواء من جهة أخرى . والواقع أن التعاون والتنافس يشكلان الدافعين الرئيسيين للتطور والتقدم في إنجاز الأعمال المتباعدة .

ثالثاً - إرادة الاقتصاد : ونحن لا نقصد هنا بلفظ اقتصاد توفير الأموال فحسب ، بل نقصد الاقتصاد بالمعنى العام للكلمة . فإلى جانب الاقتصاد المالي ، هناك الاقتصاد في الوقت والجهد ، مع توفير الدقة

في الأداء . فهذه الإرادة تتحفز الهمم للإقدام على الأخذ بالوسائل والتكنولوجيات والمهارات المستحدثة ، طالما أنها تبرهن على تفوقها على سابقتها من وسائل وتكنولوجيات ومهارات .

التغيير الإبداعي :

نقصد بالتغيير الإبداعي مجموعة من المعاني التي نود أن نقدمها على النحو التالي :

أولاً - شق خطوط غير مسبوقه : فالمبدع ينشئ أشياء جديدة لم يسبقه أحد إليها . والإبداع يبدأ من مخيلة المبدع ؛ نتيجة تفاعل التصورات الذهنية التي استقاها من الواقع الخارجي بعضها مع بعض ، فيتأتى عن تلك التفاعلات الخبزية تصورات ذهنية جديدة ، فيقوم بتقديم تجسيديتها لها في الواقع الخارجي .

ثانياً - تلقف المتلقين للإبداعات : وما يقدمه المبدع إلى المتلقين عنه ، يجد قبولا في الغالب لديهم ، فيتلقونه ويكيفونه للواقع الموجود ، أو يستخدمونه كما تلقوه بغير تعديل . ولكن يرجع الفضل أيضاً لأولئك المتلقين ؛ وذلك لأنهم يعملون على توظيفه في الواقع الممارس بالفعل ، بل إنهم يحلون الكثير من الإبداعات المستحدثة محل ما دأبوا على التمرس به من أنشطة .

ثالثاً - تصارع الإبداعات : والواقع أن ثمة تصارعا فيما بين الإبداعات المتتالية . فالإبداع السابق يقع صريحا لإبداع تال . فمثلا نجد أن الفاكسميلي قد صرع المورس كوسيلة لنقل الرسائل عبر الأماكن القريبة والبعيدة على السواء .

وعلينا بعد هذا أن نلقى الضوء على ما تضطلع به الإرادة البشرية في إحداث التغييرات الإبداعية على النحو التالي :

أولاً - الإحساس بالقلق : فالإرادة البشرية تحمل المبدع على التبرم بالواقع الممارس ، وعلى تشوُّف المجهول الذى يتمنى أن يكشف النقاب عنه ، وأن يجده أفضل من الواقع الممارس بالفعل . ولولا اعتماد الإرادة على هذا النحو والشعور بالقلق والتبرم ، ما كان للإرادة البشرية أن تعمل عملها ، وأن تحمل المبدعين على البحث عن بدائل أفضل من الواقع الموجود بالفعل .

ثانياً - الوقوف على النقصان : ويفضل الإرادة البشرية ، فإن العيوب والنقصان التى تعتور الموجود بالفعل يكشف الغطاء عنها . وطبيعى أن يعمل هذا الكشف على البحث عما يمكن أن يبدع بحيث يكون خالياً من تلك العيوب والنقصان .

ثالثاً - المحاولة والخطأ : والواقع أن الشخص المبدع لا يقع على إبداعه غير مرور في عدة محاولات ، أى أنه يجرى تلك المحاولات غير الناجحة عدة مرات إلى أن يتخلص من العيوب التى تعتورها ، ويتخلص بذلك إلى إبداعه النقى من الأخطاء .

★ ★ ★

الفصل الثالث عشر إرادة تعديل السلوك

تعديل العادات :

يجب أن نضع نصب أعيننا دائماً أن الإرادة هي الطاقة المؤثرة في الناس والأشياء والاتجاهات والعادات التى يتلبس بها سلوك الأشخاص . وبالنسبة لما تؤثر به الإرادة في تعديل العادات التى تكون قد تشكلت بالفعل لدى المرء ، فإننا نجد أن ذلك التعديل يتبدى على النحو التالى :

أولاً - إحلال عادة محل عادة أخرى : فبالإرادة يتسنى للمرء أن يستبدل بالعادات التى تشكلت لديه عادات أخرى . وحيث إن العادة التى سبق أن تشكلت قد ترسخت في شخصية المرء ؛ نتيجة التكرار النمطى ، فإن العادة الجديدة التى يراد إحلالها محل العادة السابقة تكتسب على النحو نفسه وبالطريقة ذاتها التى اكتسبت بها العادة السابقة ، أى بتكرار حدوثها .

ثانياً - تقوية العادة : ويفضل الإرادة أيضاً ، يمكن تقوية العادة التى يرغب المرء في تقويتها . من ذلك مثلاً إذا لاحظ صاحب العادة أن عادة الاستيقاظ مبكراً قد بدأت تضعف ، وذلك لأنه قد مرت عدة ليال متتالية كان لابد أن يسهر خلالها إلى ما بعد منتصف الليل ، مما ترتب عليه استيقاظه متأخراً في الصباح ؛ فإنه يعود إلى ترسيخ العادة التى تعرضت للذبول ، وذلك بالتوجه إلى السرير مبكراً ، وضبط المنبه على الساعة التى كان يستيقظ قبل ذلك عند حاجتها ، فيتكرر



استيقاظه بضعة أيام متتالية لدى سماعه صوت المنبه ؛ فإنه يصير فى غنى عن ضبطه ؛ لأن العادة القديمة التى كانت قوية لديه ثم ضعفت ، يستعيد بالتكرار قوتها السابقة ، فلا يكون إذن بحاجة إلى سماع صوت المنبه حتى يستيقظ من نومه .

ثالثًا - إطفاء عادة قديمة رديئة وحذفها من السلوك : والإرادة فى هذه الحالة تقوم بعملية هدم للعادات التى تمكنت وسيطرت على سلوك المرء . من تلك العادات الرديئة عادة التدخين . فالمدخن الذى يرغب فى اقتلاع عادة التدخين وحذفها من حياته ، يكون عليه أن يقدم إلى نفسه الإيحاءات الذاتية ، وذلك بأن يجلس فى خلوة ، ويخاطب نفسه كأنه يخاطب شخصًا آخر ، وتكون مخاطبته لنفسه بصوت مسموع ، كما أنه قد يستعين بورقة وقلم ؛ لى يقدم إلى نفسه الإيحاءات المضادة لعادة التدخين بالكلام المكتوب ، أو بالشعارات التى يعلنها أمام نفسه ويتعهد بالالتزام بها . من ذلك مثلاً شعار « كن قوى الإرادة » « إنك مالك لزمان نفسك وصاحب قرارك » إلى آخر تلك الشعارات الإيحائية التى إذا ما واضب المرء على الأخذ بها وممارستها ، فإنها تأتى بالنتائج الأكيدة . والسبب الذى يجعل الكثير من الناس يفشلون بإزاء الاستعانة بهذا المنهج الإيحائى ، هو عدم استمرارهم فى الأخذ به . فهم يريدون له أن يأتى بالثمار المرجوة من أول جلسة . وهذا هو موطن الخطأ .

تعديل نمط الحياة :

ويرتبط بتعديل العادات التى يكتسبها المرء ، تعديل نمط حياته ، فالواقع أن لكل شخص نمط حياة يسير وفقه . والمقصود بنمط الحياة ، مجموع العادات التى يكتسبها المرء ، والتى تتناغم بعضها مع بعض ، وتتعاون بعضها مع بعض ، لتشكل حصيلة كلية متكاملة فى وحدة منسجمة المقومات .

من هنا فإن تعديل نمط الحياة ، يعنى القيام بتعديل مجموعة من العادات ، بحيث يسفر ذلك التعديل المتعدد عن تعديل تلك الحصيلة التى أسميناها « نمط الحياة » . ولعلنا نقوم فيما يلى بإلقاء الضوء على ما يمكن اتخاذه من إجراءات يتسنى بوساطتها إحداث تلك التعديلات التى يدخلها المرء على العادات التى سبق له اكتسابها على النحو التالى :

أولاً - الجدول الزمنى اليومي : فالواقع أن كل شخص ينهج وفق جدول زمنى يومى معين ، سواء أكان ذلك الجدول الذى يسير وفقه من وضعه شخصيًا عن قصد وروية ، أم أنه قد تأتى نتيجة الظروف التى مر بها ، أم نتيجة ما تهج البيئة الاجتماعية التى يحيا فى كنفها وفقه من تقاليد اجتماعية . وبتعبير آخر فإن الإرادة الجمعية أو الإرادة الشخصية هى التى تكون قد وضعت ذلك الجدول . فبالنسبة لذلك الجدول الزمنى اليومي ؛ فإن الشخص الذى يرغب فى أن يحسن نمط حياته ، لا بد أن يدخل التعديلات التى تتطلبها أهدافه فى نظام يومه .

ثانيًا - تعديل الأهداف المبتغاة : ولا بد لى يتسنى القيام بتعديل الجدول الزمنى اليومي ، أن يقوم المرء بإعمال إرادته فى تعديل الأهداف التى يرغب فى تحقيقها . والواقع أن الأهداف نوعان : نوع قريب ، ونوع آخر بعيد . والأهداف القريبة هى تلك الأهداف التى تمهد الطريق لتحقيق الأهداف البعيدة . وبتعبير آخر فإن الأهداف القريبة هى التى تلد الأهداف البعيدة . على أن الأهداف تتغير من وقت لآخر ، وذلك لأن الحياة عبارة عن سلسلة من الأحداث المتلاحقة التى لا يمكن حصرها وتحديد معالمها بدقة وبطريقة قاطعة . فما يضعه المرء من أهداف قريبة أو بعيدة ، لا بد أن يخضع

للمراجعة من وقت لآخر ، بحيث تكون الأهداف ملائمة لما يقرره
إيقاع الحياة ، مع ما تبدى فيه من أحداث ورغبات جديدة .

ثالثًا - تحديد الوسائل المستخدمة لتحقيق الأهداف : وبعد تحديد
الأهداف القريبة والبعيدة ، يكون على المرء أن يُعْمَل إرادته في تحديد
الوسائل الممكنة التي يتسنى بها تحقيق الأهداف التي يترسمها . فيغير
تعيين الوسائل المناسبة لتحقيق الأهداف القريبة والأهداف البعيدة ،
يكون من المستحيل تحقيق أى هدف ، سواء أكان هدفًا قريبًا أم هدفًا
بعيدًا .

تعديل الأنشطة :

وكما أن على المرء أن يضع جدولًا زمنيًا يوميًا ، أو أن يدخل
التبديلات المناسبة على الجدول الذي ينهج وفقه ، كذا فإن عليه أن
يضع جدولًا آخر ، هو جدول الأعمال أو الأنشطة التي يبغى تحقيقها .
فالواقع أن وضع جدول زمني يومي لا يجدى نفعًا إذا لم يساند بجدول
آخر هو جدول الأعمال أو الأنشطة .

بيد أن وضع جدول الأعمال أو الأنشطة ، يكون فارغ المضمون
إذا لم يجهز له المرء الطاقة النفسية الكافية للاضطلاع به . وهذا
يعنى ضرورة استثمار قوة الإرادة قبل الشروع في التنفيذ بالفعل .
فالأعمال أو الأنشطة التي يحددها المرء يجب أن تتبع من حماسه ،
ومن توفير الطاقة النفسية التي تلزم للاضطلاع بها . ولعلنا نقوم فيما
يلى باستعراض نوعيات الأعمال والأنشطة التي يتسنى إدراجها في
جدول الأعمال أو الأنشطة :

أولاً - أعمال أو أنشطة بنيانية أو إنشائية : والأعمال أو الأنشطة
البنيانية أو الإنشائية ، يمكن أن تكون واقعة في نطاق المحسوسات ،

بمعنى أنها تقوم على أساس التأثير في الخامات ، أو في ترتيب
الأشياء ، أو في تعديل مجريات النظام الذى تنهج وفقه . وقد تكون
الأعمال البنائية ، أو الإنشائية متصفة بالرمزية ، كما هو الشأن بصدد
ما نضطلع به الآن في بناء أو تشييد هذا الكتاب . فكل سطر من
سطوره ، بمثابة درجة تنبنى عليها الدرجة التالية ، وكل فصل من
فصوله بمثابة دور ينبنى عليه الدور التالى ، إلى أن يتم البناء كله ،
أعنى أن يكون الكتاب قد اكتمل تأليفه . وقد ننظر إلى عقد قران
المرء بشريكة حياته على أنه بمثابة بناء أسرة جديدة تتضاف إلى
الأبنية الاجتماعية القائمة ، أعنى الأسر التي سبق أن تشكلت من زوج
وزوجة وأولاد .

ثانيًا - أعمال وأنشطة هدمية : ولقد يكون العمل أو النشاط
متصفا بالهدم . فمثل الشرطة ورجل القانون يعملان على مقاومة
الجريمة ، والانحراف عن القانون . فعملهما بالنسبة لمرتكبي الجرائم
هو عمل هدمي نسبي . ذلك أنهما يركزان أعمالهما ونشاطهما في
عملية مقاومة الخروج على القانون بصفة أساسية .

ثالثًا - أعمال وأنشطة تدوقية : ولقد تكون الأعمال والأنشطة
التي يضطلع بها المرء متعلقة بمجال التدوق الجمالى . صحيح أنه قد
يقدم نتاجات أعماله إلى الآخرين من حوله ، ولكنه يضع نصب عينيه
أنه يتذوق الجمال ، وأنه يعبر عنه بغض النظر عن النتائج التي يمكن
أن تترتب على ما ينتجه . فهو لا يقيس أعماله وأنشطته بمعيار
الفائدة ، بل يقيسها في ضوء مدى ما يحس به من تقدير لما يقوم
بإنتاجه . وفي هذه الأعمال والأنشطة يُعْمَل المرء إرادته التدوقية فيما
يقوم بإبداعه من أعمال فنية تدوقية .

إرادة تعديل الاتجاهات :

نستطيع تعريف الاتجاه Attitude بأنه مركب نفسى من مجموعة من العواطف التى تُشكّل حزمة منسجمة فيما بين مقوماتها ، أعنى العواطف التى تتألف منها . ولنضرب أمثلة للاتجاهات التى يمكن أن يتلبس بها شخصية المرء على النحو التالى :

أولاً - الاتجاه نحو التسامح Tolerance : وتعنى بهذا الاتجاه ، تقبل الآخرين كما هم عليه فى الواقع ، وليس كما يريد المرء أن يكونوا عليه . وهذا الاتجاه يتضمن مجموعة من العواطف أهمها : (ا) عاطفة تقدير الذات باعتبارها قائمة بذاتها ، ومستقلة عن الذوات الأخرى ، وأنها نسيجٌ وحدها وغير مكررة . فهى تحمل خصائص خاصة بها لا يقاسمها فيها شخص آخر . (ب) عاطفة تقدير ذوات الآخرين ، وهى العاطفة التى تحمل المرء على احترام كل شخص باعتباره ذاتاً لها قوام غير قوام ذاته ، والاعتراف بأنه يحمل خصائص تختلف عن خصائص الأشخاص الآخرين . وتعبير آخر فإن الاتجاه نحو التسامح ، يعنى الاعتراف بالفروق الفردية بين الأفراد المتباينين ، (جـ) عاطفة حرية الفكر والعاطفة والإرادة ، وهى العاطفة التى تعمل فى قلب الشخص المؤمن بالتسامح ، وبمقتضاها ؛ فإنه يؤمن بأن لكل شخص الحرية فى التفكير ، وفى توجيه عاطفته ، وفى اتخاذ القرارات المناسبة التى يرغب فى إصدارها ، طالما أنها لا تضر بالآخرين وبمصالحتهم .

ثانياً - الاتجاه نحو النمو الخبىرى : وهذا الاتجاه يتشكل من مجموعة من العواطف التى نستطيع تقديم أهمها على النحو التالى : (ا) حب المعرفة : فالشخص المتذرع بالاتجاه نحو النمو الخبىرى ،

لا بد أن يتلبس بحب المعرفة ، أعنى استيراد أفكار جديدة من الخارج ، سواء بطريق مباشر من الواقع الحى ، أم بطريق غير مباشر بالقراءة أو السماع . (ب) حب اكتساب المهارات : فالشخص المتذرع بالاتجاه نحو النمو الخبىرى ، يجد نفسه راغباً فى اكتساب مهارات أدائية وعلائية يسبر بها آفاق الخبرات المتباينة . (جـ) حب التعبير عن الذات : والشخص المتذرع بالاتجاه نحو النمو الخبىرى يعمل فى قوامه حب التعبير عن نفسه ، بوسيلة أو بأخرى من وسائل التعبير عن الذات ، بحيث يكون تعبيره عن ذاته متمسماً بالجدة والإبداع ، فتكون له بذلك بصمة ذاتية مياينة لبصمات الآخرين فيما يعبرون به عن ذواتهم .

ثالثاً - الاتجاه نحو التعاون والتنافس : وهذا الاتجاه يتضمن مجموعة من العواطف التى نقدمها على النحو التالى : (ا) الحب والكرهية : فالحب يدعم التعاون ، والكرهية تدعم التنافس . (ب) الاستجمام والتناظر : فمن ينسجم مع المرء يتعاون معه ، ومن يتناظر معه يتنافس معه . (جـ) السلام والخصام : فمن يسود السلام بينه وبينهم من أشخاص ، يتعاون معهم ، ومن يخاصمهم يتنافس معهم .

★ ★ ★

الفصل الرابع عشر

إرادة التخطيط

التخطيط الاستراتيجي :

نقصد بلفظ « التخطيط الاستراتيجي » ، ذلك التخطيط الذي يتضمن الخصائص التالية :

أولاً - عدم التطور : فالتخطيط الاستراتيجي يوضع قبل البدء في التنفيذ ، ويستمر قائماً كما هو دون أن تدخل عليه أي تعديلات أو تطورات إلى أن يتم تنفيذه بأسره .

ثانياً - التقييم البعدي : وبعد الانتهاء من تنفيذ التخطيط بأسره ، يبدأ تقييمه حتى يتسنى مراعاة ما يجب إدخاله أو تحاشيه عند وضع التخطيطات التالية . ومعنى هذا في الواقع أن التخطيط الاستراتيجي لا يخضع للتقييم في أثناء تنفيذه .

ثالثاً - بيولوجية التخطيط : والخطة الاستراتيجية : تعتبر بمثابة كائن حي متكامل لا يجوز الإضافة إليه أو الحذف منه . فالمخطط الاستراتيجي يعتقد أن أي مساس بمخططه يفسده ، ويقوِّض أركانه التكاملية .

رابعاً - تضمّن وسائل التنفيذ : والتخطيط الاستراتيجي يتضمن إلى جانب خطوات العمل ، جميع الوسائل التي سوف يتم التذرع بها في التنفيذ . فلا يجوز إضافة ، أو حذف أي وسيلة من الوسائل التي تضمناها التخطيط من بداية الأمر ..

خامساً - تحديد عدد ومواصفات القائمين بالتنفيذ : وكما أن التخطيط الاستراتيجي يتضمن جميع الوسائل التي سوف يستعان بها في التنفيذ ؛ كذا فإنه يتضمن عدد الأشخاص الذين سوف يشتركون في الاضطلاع به ، وما يجب أن يكونوا عليه من قدرات ، وما يجب أن يكونوا قد اكتسبوه من مهارات .

وبعد أن استعرضنا المقصود « بالتخطيط الاستراتيجي » ، فإن علينا أن نلقى الضوء على الدور الذي تضطلع به الإرادة في هذا النوع من التخطيط ، فنجد أن هذا الدور يمكن أن يتحدد على النحو التالي :

أولاً - إرادة المخططين : فالواقع أن هذا النوع من التخطيط يتطلب تجنيد عدد كبير من المسؤولين عن المؤسسة التي يوضع لها هذا التخطيط ، ثم يعهد إليهم بوضع التخطيط الذي سوف يتم الالتزام به . ومن الطبيعي أيضاً أن يكون هناك قائد لمجموعة المخططين ، وهو الذي تكون إرادته ، هي الإرادة الأقوى ، والأكثر سيطرة على إرادات جميع الأعضاء المشتركين معه في التخطيط . ومن الطبيعي أن نجد أن الأعضاء الأكثر قوة في إراداتهم ، هم الذين يتولون التخطيط للجوانب الأكثر أهمية في ذلك المخطط .

ثانياً - إرادة المنفذين : ولاشك أن إرادة كل شخص يشترك في تنفيذ المخطط ، تلعب دوراً أساسياً في المهام التي يضطلع بتنفيذها . ولكن إرادة المنفذين لا تنشط إلا بعد الاقتناع بجدوى المخطط وفاعليته ، والإيمان بأنهم خليون بالتنفيذ ، وإخراج ما تضمنته الخطة من نطاق الكمون إلى نطاق الواقع المنفذ بالفعل .

ثالثاً - إرادة المقيمين : فبعد التنفيذ ، يأتي دور التقييم ، وكل شخص مشترك في تقييم التخطيط بعد إتمام تنفيذه بالكامل ، لا بد أن يُعمل إرادته في عمليات التقييم التي يتدرج بها في قياس المزايا والعيوب ، وفيما يجب مراعاته في المخططات الاستراتيجية التالية .

التخطيط الديناميكي :

عندما نذكر « التخطيط الديناميكي » فإننا نكون بصدد التخطيط الذي يتضمن مجموعة من المواصفات التي نعرضها على النحو التالي :

أولاً - انبثاق التخطيط من صميم الواقع الممارس بالفعل : فبينما نجد أن التخطيط الاستراتيجي ينبثق من ذهن المخطط أو المخططين ، فإن التخطيط الديناميكي بمثابة عمليات استقرائية للواقع الممارس بالفعل ، أي أنه تخطيط يصدر عن ميدان العمل ، وليس عن مفاهيم مجردة معتملة في أذهان المخططين ، كما هو الحال في التخطيط الاستراتيجي .

ثانياً - مشاركة المنفذين في التخطيط : ويمتاز هذا النوع من التخطيط بأن العاملين أنفسهم يلعبون الدور الأكبر فيه . وتعبير آخر فإننا نقول : إن المخططين لهذا النوع من التخطيط ، ينحصر دورهم في استخلاص الخبرات الميدانية التي على أساسها ومن صلبها يبنى ويحدد هذا التخطيط .

ثالثاً - استمرارية التخطيط : وهذا النوع من التخطيط لا تتحدد ملامحه وقسماته قبل التنفيذ ، بل إن عمليات الإضافة والحذف تستمر بإزائه طوال فترة التنفيذ . فتمة عمليات تفاعلية تتم فيما بين التخطيط الموضوع ، وبين التنفيذ الفعلي . فكلما تطلب الأمر إدخال تعديلات

جديدة على التخطيط ؛ فإنها تُدرج فيه بعد التأكد من صلاحيتها ، وأنها أفضل من العناصر أو العمليات التي تحذف .

رابعاً - استمرارية التحديثات : وكما أن التخطيط الديناميكي يتعدل في ضوء الخطوات التنفيذية التي يتم اتخاذها ، كذا فإنه يتعدل في ضوء ما يتم استحداثه من تكنولوجيات ومهارات تتواكب معها . من هنا فإن التخطيط الديناميكي يتضمن التخطيط للتدريبات التي يجب أن يخضع لها بعض العاملين . فكلما استجرت تكنولوجيا جديدة ، فإن التخطيط يتضمن التدريب عليها . وكلما حذفت تكنولوجيا واستغنى عنها ، فإن التخطيط يحذفها بالتالي من خطة التدريبات المقررة .

خامساً - تجديد وسائل التخطيط ذاتها : ومن خصائص التخطيط الديناميكي أيضاً ، الأخذ بأخر صيحة في فنون التخطيط . فتمة الحاسبات الإلكترونية وبنوك المعلومات التي يجب الاستعانة بها في التخطيط . وأكثر من هذا فكلما استجرت وسائل أكثر تطوراً في فن التخطيط ؛ فإن التخطيط الديناميكي يأخذ بها ، ويستعين بها في العمليات التخطيطية المستمرة ، التي لا تتحدد بفترة زمنية تبدأ فيها وتنتهي بانتهائها ؛ ذلك أن التخطيط الديناميكي يتصف بالديمومة والاستمرارية ، ولا يبدأ في تاريخ محدد ، وينتهي في تاريخ بالذات وانتهاء فترة تنفيذ التخطيط .

التخطيط الفردي :

إن كل فرد يعتبر وحدة اجتماعية قائمة برأسها ، أو يعتبر فئة اجتماعية يجب أن تخضع للتخطيط ، لما سوف تنتهجه في المستقبل . فالواقع أن المجتمع لا يعدو أن يكون مكوناً من وحدات هم الأفراد ، وأن مع التتام هذه الوحدات بعضها مع بعض ، تتشكل مجموعات

أو مؤسسات اجتماعية . وكل مجموعة أو مؤسسة من تلك المجموعات أو المؤسسات ، تلتئم مع المجموعات والمؤسسات الأخرى لتتشكل منها مجموعة أو مؤسسة أكبر منها ، لها وظائف أكثر تعقيداً .

وعندما نذكر « التخطيط الفردي » ، فإننا نقصد بذلك التخطيط الذى يتضمن الموصفات التالية :

أولاً - انبثاق التخطيط من واقع المرء : فمن يقوم بالتخطيط لمستقبله القريب ومستقبله البعيد ، يجب أن يستنبط مخططه من واقعه الحالى من جهة ، وأن يستفيد من خبرات ماضيه من جهة أخرى . ومن الأخطاء الفادحة حدوث فسام بين ما يقوم المرء بوضعه من تخطيط ، وبين واقعه الفعلى . وتعبير آخر انسلاخ التخطيط عن الظروف الحقيقية التى تحيط بالمرء ، وسباحته بخياله فى آفاق بعيدة عن تلك الظروف الحقيقية .

ثانياً - الوقوف على إمكانات المرء : ولا بد أن يتصف التخطيط الفردى بالواقعية ، أعنى أن يكون فى حدود الإمكانات المتاحة . فمن الخطأ أن يبالغ المرء فى تقدير تلك الإمكانات ، أو أن يقلل من قيمتها . فواقعية تقدير الإمكانات تعتبر شرطاً أساسياً لضمان نجاح التخطيط الفردى .

ثالثاً - تحديد الأولويات : فلكى يكون التخطيط الفردى مكيناً ، لا بد أن يقوم المرء بترتيب الأولويات بحسب أهمية كل منها ، وفى ضوء الترتيب الذى يجب أن تتخذه . فكلما كان المرء أكثر قدرة على تحديد الأولويات ، فإن تخطيطه يكون بالتالى أكثر نجوعاً .

رابعاً - تجهيز الطاقة النفسية الإرادية : ومن خصائص التخطيط الفردى الناجح ، قيام المرء بتجهيز طاقة نفسية إرادية تكفى لتنفيذ المخطط الذى يضعه لمستقبل حياته . ذلك أن التخطيط مهما كان جيداً ، ولكن المرء لم يجهز له الطاقة اللازمة لتنفيذه ، فإنه يكون إذن حبراً على ورق ، ولا يجدى نفعاً من قريب أو من بعيد . على أن الطاقة النفسية الإرادية يجب أن تتجدد باستمرار ، وأن تفصل على مفاصل كل عملية يتضمنها التخطيط .

خامساً - التقييم المستمر للخطة الفردية : فظروف الحياة لا تسير على خط مستقيم ، بل تسير على خط متعرج ، بل إنها قد تتحرف تماماً عن المتوقع حدوثه ؛ لذا يتحتم على المرء أن يراعى إمكان حدوث تلك الظروف أو الأحداث المفاجئة ، وأن يعد لها العدة ، ويضمنها فى التخطيط ، بما يوفره من إمكانات احتياطية ، حتى لا يضطر إلى التوقف فى أثناء التنفيذ .

التخطيط الفوقى :

نقصد « بالتخطيط الفوقى » ذلك التخطيط الذى يتضمن الموصفات التالية :

أولاً - صدور التخطيط من الجهات العليا : فبالنسبة للدولة ؛ فإن التخطيط الفوقى يصدر من الجهات الممسكة بزمام الحكم ، والمهيمنة على التشريع والتنفيذ ، ولا تكون مهمة الطبقات الشعبية التالية ، سوى أن تضطلع بالتنفيذ وفقاً للخطوات التى يتضمنها التخطيط الفوقى .

ثانياً - القياس بدلاً من الاستقراء : والمقصود بالقياس ، الاستنتاج العقلى من قضايا مسلم بها ، أو من خبرات سبق أن مرت بها المجموعة أو الأفراد . أما الاستقراء فهو العمليات الذهنية التى تقوم

باستطابق الواقع الممارس بالفعل ، والخلوص من تلك العمليات الاستباقية بالأفكار والعمليات التي ينبغي أن يتضمنها التخطيط .
وواضح أن التخطيط الفوقى ، ينجاز إلى القياس ، بينما يعمد إلى نبذ الاستقراء ، فيما يضطلع به من وضع للمخططات .

ثالثاً - النظر إلى المطالبات الشعبية على أنها مقترحات فحسب :
فما يطالب به الناس ، ويرفعونه إلى المسكين بأزمة الحكم ، لا يعدو أن يكون مجرد مقترحات . وغالبا ما ترفض جميع المقترحات التي لا تماشى ما سبق أن بيّنته تلك الطبقات العليا الممسكة بعناق الجماعة ، والتي تقوم بالتخطيط لها من فوق . فإرادة هذه الفئة العلوية ، هي الإرادة النافذة . أما إرادة الشعب المنفذ ، فإنها يجب أن تنحصر في نطاق تنفيذ ما يصل إليها من تخطيطات علوية .

التخطيط التصاعدي :

وعلى نقيض التخطيط العلوى ، نجد التخطيط التصاعدي الذي يتضمن مجموعة من الموصافات التي نعرض لأهمها فيما يلي :

أولاً - البدء من القاعدة إلى القمة : فالتخطيط للتصاعدي يبدأ من الوحدات التي تقع في أسفل السلم الاجتماعي ، فتقوم كل وحدة منها بالتخطيط ، ثم تجتمع جميع المخططات التي تقوم بها تلك الوحدات الموجودة بالقاعدة الشعبية العريضة ، ويتم التنسيق فيما بينها ، بحيث يُستخلص منها تخطيط واحد . وتتسلم الفئات الأعلى ذلك التخطيط وتنسق بينه وبين التخطيطات التي تضطلع بها ، ويستمر الارتفاع بالتخطيطات من مستوى أدنى إلى مستوى أعلى إلى أن يصل إلى القمة التي تقوم بدورها بالتنسيق بين ما تضعه من خطط ، وبين تلك الخطة المستخلصة بعد المرور من القاعدة إلى القمة ، واستخلاص

الخطط المتتالية والمتدرجة منها ، وبذا فإن الخطة النهائية ، تكون بمثابة عصاره مستخلصة من العديد من الخطط التي تنبثق من أسفل إلى أعلى .

ثانياً - استمرارية التخطيط التصاعدي : فهذا النوع من التخطيطات ، لا يباعد في الزمان ، بين تنفيذ واحد منها ، وبين التخطيط التالي ، بل إنها تستمر في توال ، بحيث لا يستغرق تنفيذ أي منها أكثر من سنة واحدة . ففي كل عام يتم التخطيط التصاعدي ، وذلك لأن العصر الحالي ، والعصور التالية ، تتصف بسرعة التدفق والتغير . فإذا اعتمدت الدولة على تخطيط مضت عليه سنوات كثيرة ، فإنها تكون قد اعتمدت إذن على تخطيط منحرف عن الواقع الذي صار إليه حال البلاد ، بسبب التغيرات السريعة والمتدفقة بصفة دائبة .

ثالثاً - اشتراك أكبر عدد من الفئات في وضعه : فهذا النوع من التخطيط التصاعدي لا تستأثر بعض الفئات بوضعه ، بل إن الشعب كله يشارك فيه ، تماماً كما يحدث في الانتخابات الشعبية لاختيار أعضاء مجلسي الشعب والشورى .

★ ★ ★

الفصل الخامس عشر إرادة التنفيذ وإرادة التعبير

إرادة التنفيذ الشئىي :

منذ أن بزغت بشائر الحضارة على سطح الأرض على يد الإنسان ، وهو يُعمل إرادته فى الأشياء التى وقعت عيناه عليها . فأخذ يؤثر فيها ، كما كانت تؤثر فيه . وهذه الإرادة التى أخذ الإنسان فى توجيهها إلى الأشياء ، سواء نقلها من مكان إلى مكان آخر ، أم لتغيير أشكالها وأحجامها ، أم لاستخدامها فى الأغراض التى تخدم مصالحه ، وتساعد على حماية نفسه وذويه من الأخطار التى كانت تتربص به ، هى ما نسميه « الإرادة الشئىية » أعنى الإرادة التى يخصصها المرء ، للتأثير فى الأشياء القريبة منه ، أو فى الأشياء البعيدة عنه . ولعلنا نقوم فيما يأتى باستعراض المجالات التى ظل الإنسان عبر العصور يصوب إليها هذه « الإرادة الشئىية » .

أولاً - فيما يتعلق بالزراعة : قبل أن يشرع الإنسان فى الزراعة ، كان يتسلق الأشجار ويقطف الثمار ويقنات عليها . ومع مرور الوقت ، اكتشف أن البذور التى يلقى بها على الأرض ، تنبت وتستحيل بدورها إلى أشجار تحمل ثماراً . فما كان منه إلا أن صار يأخذ البذور ، ويبذرهما بإرادته فى الأرض التى يختارها بنفسه . وهكذا أخذ الإنسان يتطور عن طريق المحاولة والخطأ بفنون الزراعة

عبر العصور ، وذلك بإعمال إرادته الشئىية فى هذا المجال . وهو ما يزال يُعمل هذه الإرادة فى مجالات العلوم والفنون الزراعية التى صارت تشعب بعضها عن بعض وتتكاثر وتفنن ، حتى بلغت شأواً بعيداً من الدقة والعمق .

ثانياً - فيما يتعلق بالصناعة : ولقد وجه الإنسان قوة إرادته منذ أن فتح عينيه على الوجود من حوله إلى الأشياء التى يستطيع تغيير أشكالها ، وتكييفها ، لتحقيق أهدافه المتباينة . ولعل أول صناعة اخترعها الإنسان ، كانت صناعة الملابس وصناعة البناء . فلقد كان لابد أن يستر جسمه ، فاستعان بأوراق الشجر يكيفها بحيث تصلح لحماية جسمه من البرد والحر . وكان لابد أن يستعين بالحجارة ؛ ليبنى بها الكهوف التى تحميه من الأخطار الطبيعية ، ومن أنياب الحيوانات المفترسة المتربصة به لتلتهمه . ومن هاتين البدايتين ، تطورت الصناعات المتباينة وتكاثرت وتوَعّت . وكلما بزغت صناعة جديدة إلى الوجود ، صارت تستحث حاجات جديدة ، لم تكن موجودة من قبل . وعلى العكس أيضاً ، فإن الإنسان كان يخترع الصناعات لإشباع الحاجات التى تبرغ فى حياته ، والتى يحس بها ، وتلج عليه .

ثالثاً - فيما يتعلق بالدفاع والحرب : واخترع الإنسان الأسلحة عن طريق إعمال إرادته فى مجال الدفاع عن حياته ، والذود عن ممتلكاته ، وعن الأرض التى كان يعيش عليها ويحبها ، ويرتبط بها ، وينتمى إليها . ولعل أن يكون أول سلاح استخدمه الإنسان ، هو العصا ثم المقلاع الذى كان يستطيع بوساطته أن يلقى بالظوب إلى

الاتصال ممكنًا بين الأرض والقمر وغيره من كواكب بالوسائط الإلكترونية الحديثة .

إرادة التعبير المعنوي :

لقد دأبت إرادة التعبير المعنوي في الاعتمال في قوام الإنسان ، منذ أن بدأ في الاتصال بغيره من الناس . وبدأت إرادة التعبير في الاعتمال لديه لقضاء مصالحه ، ودرء الأخطار عن نفسه ، وذلك بالاستغاثة بغيره من الناس ، وطلب العون منهم . ولكن هذه الإرادة صارت تتضح لديه شيئًا فشيئًا ، فانتسعت أرجاؤها ، وتعددت وسائلها ، وصارت تزداد دقة أكثر فأكثر ، بحيث صارت لها قواعد وفنونها المتباينة . ولعلنا نقوم فيما يلي باستعراض أهم المجالات التي تتعمل فيها إرادة التعبير :

أولاً - التعبير بالكلام المنطوق : ومن الطبيعي أن يبدأ الإنسان في التعبير عما يخالجه من أفكار ومشاعر بالكلام المنطوق . وبمرور الوقت ، تفتحت أمامه آفاق متباينة للتعبير المنطوق . فظهر الشعر والخطابة . ومع اتصال الناس بالمجمعات المتباينة ذات اللهجات واللغات المتباينة ، انتشر الكلام المنطوق بطرائق متباينة ، كما استعارت اللغة الواحدة ألفاظًا من اللهجات واللغات الأجنبية ، بل صار بمقدور بعض الأشخاص التحدث بلغتهم ، وبلغة أو أكثر من اللغات الأجنبية .

ثانيًا - التعبير بالكلام المكتوب : بيد أن إرادة التعبير لدى الإنسان قد اتسعت ، ولم تنحصر في نطاق الكلام المنطوق ، بل غزت مجال الكلام المكتوب . وكان من الطبيعي أن يبدأ الإنسان التعبير عما يدور بذهنه من أفكار ومشاعر ، بالرسم بالألوان أو بالنقش على الحجارة .

مسافات بعيدة ، ويصوبه تجاه مرمى أعدائه . وهكذا صارت الإرادة الشينية لدى الإنسان ، تتعمل في هذا المجال ، وكان كل اختراع يتطور إلى اختراع أكثر دقة وفاعلية في الحرب والدفاع ، إلى أن اخترعت الأسلحة النووية والأسلحة الكيميائية ، والأسلحة البيولوجية التي يخشى منها على مصير الحياة ذاتها على ظهر الكرة الأرضية .

رابعًا - في مجال النقل والمواصلات : بدأ الإنسان في أعمال إرادته التنفيذية الشينية في الانتقال من مكان لآخر على قدميه ، وكان يحمل متاعه على ظهره ، ثم استبد الأتوبيس بالضعفاء المغلوبين على أمرهم ، فظهر الرقيق والجواري ، ثم استنسبت بعض الحيوانات كالحمير والبغال والخيول والجمال ، فصار الإنسان يمتطيها ، والسفر بها إلى أماكن بعيدة عن موطنه الأصلي ، ثم اخترعت القوارب والمراكب الشراعية ، وأخذ الإنسان يطور وسائل الانتقال من مكان لآخر ، إلى أن بلغ ما بلغه من سبيل لأغوار الفضاء بمركبات الفضاء ، التي انتقلت به إلى سطح القمر ، وغيره من كواكب ، كما استطاع الغوص إلى أعماق المحيطات بالغواصات ، وصار الانتقال بين القارات بالبواخر من الأمور العادية .

خامسًا - في مجال الاتصالات : وكذلك أعمل الإنسان إرادته التنفيذية الشينية فيما يتعلق بالاتصالات . فبدأ بالحمام الزاجل يحمل الرسائل ، ثم اخترع البريد ، كما اخترع التليفون والتلغراف السلكي واللاسلكي ، كما اخترع الراديو والتلفزيون والكثير جدًا من وسائل الاتصال ، التي قرّبت المسافات الشاسعة بين القارات البعيدة ، بحيث صار من الممكن الاتصال بأبعد بقعة على وجه الأرض ، بل صار

وبعد اختراع الورق ، اتسع نطاق الكتابة ، فصار الإنسان يدون الأحداث والوقائع ، ويعبر عن أفكاره ومشاعره بالقلم على الورق . وبعد مرور الأجيال المتعاقبة الكثيرة ، اخترعت الآلة الكاتبة ثم الكمبيوتر (الحاسب الآلى) ، وكان للطباعة الدور الخطير فى نشر الكلام المكتوب فى نسخ عديدة ، يمكن توزيعها فى أنحاء متباعدة ، كما يمكن أن يفيد منها عدد كبير من الناس . وانتشرت الصحف والمجلات أيضا ، كما أسهمت وسائل الاتصال الحديثة وخاصة الفاكسىمبلى فى نشر الكلام المكتوب بسرعة هائلة عبر القارات . فلم يعد من الضرورى إرسال الجرائد بطريق البحر أو الجو إلى قارات العالم ، بل يكفي استخدام الفاكسىمبلى لنقل ما تحتويه الصحف من أخبار ومعلومات فى التو واللحظة .

ثالثاً - التعبير بالشكل الفنى أو بالنغم : فإرادة التعبير ، لا تقتصر على الاعتمال فيما يدور بخلد الإنسان من أفكار ومعان ، بل تعدى ذلك إلى التعبير عن المشاعر الفنية أيضا ، سواء أكان التعبير بالرسم ، أم بالنحت ، أم بالأوتار ، أم بالأبواق التى تصدر الأنغام التى يبدعها الفنانون .

إرادة التنفيذ العلائقى :

اتجهت إرادة التنفيذ أيضا إلى العلاقات الاجتماعية ، وتجددت هذه الإرادة فى مجموعة من الصيغ التى نستطيع تقديم أهمها على النحو التالى :

أولاً - الروابط الأسرية : فلقد عملت الإرادة العلائقية على إرساء قواعد الزواج وقواعد الطلاق ، كما حددت الواجبات المنوطة بالوالدين تجاه أولادهما فى المناسبات والمواقف المتباعدة ، كما حددت

واجبات الأولاد تجاه والديهما ، وعملت على تحديد ما يتعلق بتلك الروابط الأسرية من واجبات أدبية ومادية على السواء .

ثانياً - العلاقات التربوية والتعليمية : ومع التطورات الحضارية عبر القرون المتعاقبة ، ظهرت الحاجة إلى متخصصين فى تجميع الخبرات وتنظيمها ، وفى وسائل نقلها من جيل إلى الجيل التالى . وهؤلاء هم فئة المعلمين الذين يقومون بتثنية الأجيال الجديدة ؛ لتحل محل الأجيال القائمة بالفعل ، كما ظهرت أنواع متباعدة من المدارس والمعاهد والكليات .

ثالثاً - العلاقات الدينية : وعلى النحو نفسه اتجهت الإرادة العلائقية إلى المعتقدات الدينية ، التى لا بد أن تثبت فى قلوب الناس ، فظهرت فئة من المتخصصين فى الشئون الدينية هم رجال الدين . وحيث إن هناك أديانا متباعدة ، فقد صار هناك رجال دين متباينون ، مع تباين الأديان .

رابعاً - العلاقات المهنية والحرفية : وكذا الحال بالنسبة للمهن والحرف المتباعدة . فلقد اتجهت الإرادة العلائقية إلى إقامة مؤسسات وروابط ونقابات مهنية وحرفية خاصة بالمشتغلين بالمهن والحرف المتباعدة ، وذلك للدود عن مصالحهم ، والرفع من شأنهم ، وتأمين مستقبلهم ، وحمايتهم من العوز والفاقة بعد الانخراط فى الشيوخة أو عند الإصابة بالمرض ، الذى يقدهم عن مزاوله المهنة أو الاشتغال بالحرفة .

خامساً - العلاقات الرياضية والترفيهية : ولم تقتصر الإرادة العلائقية على الجوانب النفعية فى حياة الإنسان ، بل إنها اهتمت أيضا بالجوانب الرياضية والترفيهية التى تشبع السعادة والبهجة فى حياة

الفصل السادس عشر

الإمكانات والإرادة

الإمكانات الذاتية :

نقصد بالإمكانات الذاتية مجموعة من المقومات النفسية ، التي يمكن استعراض أهمها على النحو التالي :

أولاً - الاستعدادات الكامنة : لدى كل شخص ، مجموعة هائلة من الاستعدادات المظمورة بدخيلته ، والتي لم يستثمرها بعد ، ولكن بمقدوره أن يستثمرها ، إذا ما وجدت لديه الرغبة لاستثمارها ، وإذا ما جهز الطاقة الإرادية اللازمة لذلك ، ثم أخذ في توجيه تلك الطاقة الإرادية بالطريقة السليمة المفضية إلى تحقيق ذلك الاستثمار . فقد يكون لديك استعداد عظيم لتعلم الموسيقى وللإبداع الموسيقي وتقديم أعمال موسيقية عظيمة على مستوى عبدالوهاب وبيتهوفن . فإذا أنت وفرت لنفسك الشروط التي ذكرناها لاستثمار ذلك الاستعداد الموسيقي ، فإن ما هو مظمور لديك منه ، يجد له المنفذ الذي يخرج من خلاله ، فتصير بالفعل عازفاً أو مؤلفاً مبدعاً في الموسيقى . ومن الطبيعي أن هذا الاستعداد وغيره من استعدادات كثيرة كامنة في قوامك النفسى ، تظل ساكنة راکدة ، طالما أنها لا تجد العوامل التي تخرجها من نطاق الكمون ، إلى نطاق الواقع السلوكى .

المراء ، وتعمل على تجديد نشاطه ، فيقبل على العمل بجهد ونشاط . ولقد صارت الرياضة والترفيه قائمين على أسس علمية وتقنية دقيقة ، ولم تعد مجرد لهو تلقائى عشوائى .

ولعلنا نكتفى بهذه المجالات العلائقية الخمسة ، علماً بأن هناك مجالات كثيرة أخرى يمكن استعراضها ، ولكن لضيق المقام لم نذكرها جميعاً . فهي معروفة للجميع . ولكن ما نؤكد هنا ، هو أن إرادة التنفيذ العلائقى هي التي تحمل الإنسان على المشاركة فى تلك المجالات وغيرها من المجالات العلائقية المتباينة .



رابعاً - القدرة على اكتساب الخبرات : ولدى الشخص السوى ، القدرة على أن يكتسب خبرات جديدة باستمرار . ولكن الكثير من الناس الذين يمتعون بهذه القدرة ، يتوكلون ويتقاعسون عن أن يهلوا الجديد من المصادر المتباينة والغزيرة للخبرة ؛ وبذا فإنهم يتجمدون ويتوقفون عند حدود الخبرات التي سبق أن اكتسبوها خلال مرحلة المراهقة أو مرحلة الشباب ؛ وبذا فإنهم يتخلفون عن مسيرة زملائهم الذين ظلوا يكتسبون الخبرات الجديدة ، وظلوا يتطورون بشخصياتهم إلى آفاق بعيدة .

خامساً - القدرات التذوقية : فثمة استثمار أيضا للاستعدادات التذوقية . فتعلمك للموسيقا وإبداعك فيها ، إنما هو استثمار لموهبتك التذوقية الفنية . والواقع أن هناك تربية تتعلق بالتذوق الفني (انظر كتاب « تربية الذوق الفني » لهيربرت ريد ترجمة المؤلف) فهذه التربية هي استثمار لما جبل عليه المرء من مواهب فنية . ولا شك أن الشخصية لا تصير شخصية متكاملة ، إذا هي أهملت الجانب التذوقي الذي جبلت عليه بالفطرة .

وبعد استعراضنا لهذه الجوانب الخمسة للإمكانات الذاتية ، فإننا نستطيع أن نقرر أنه لولا توجيه إرادة المرء إلى كل منها التوجيه الصحيح ، لما كان بمقدوره إذن أن يستثمر أيًا منها . فشرط الخروج بالاستعدادات إلى الواقع الممارس بالفعل ، واستثمار ما استحال من نطاق الاستعدادات إلى نطاق القدرات في ميادين الحياة المتباينة ، هو توجيه طاقة الإرادة التوجيه السديد الذي يكفل تحقيق الاستثمار الجيد لتلك الإمكانات المتوافرة لدى المرء سواء أكانت استعدادات ، أم قدرات ، أم ذكاء ، أم قدرة على اكتساب الخبرات ، أم تذوقًا فنيًا .

ثانياً - الإمكانات المستثمرة بالفعل : بيد أن الاستعداد الذي يتم استثماره بالفعل ، يستحيل من كونه استعدادًا إلى كونه قدرة . فبعد أن تتعلم الموسيقا مثلاً ، فإن استعدادك لتعلمها ، يستحيل إلى قدرة فعلية تمارسها في الواقع السلوكي . فأنت تصير مسيطراً على هذا الفن . ولكن برغم تمكنك وسيطرتك على العزف والتأليف الموسيقي ، فإنك قد تفتح ، فلا تستثمر ما تعلمته بالفعل ، وما تمكنت من السيطرة عليه . وهذا هو حال الكثير من المتعلمين الذين تمكنوا من القراءة والكتابة على نحو جيد ، ولكنهم لا يستثمرون هذه الإمكانية في مداومة الإطلاع على الجديد ، كما أنهم لا يسهمون بالكتابة والتأليف . فعلى الرغم من أنهم قد استثمروا استعدادهم للقراءة والكتابة وأحالوه إلى قدرة على الإطلاع والتأليف ، وقد استحال لديهم هذا الاستعداد إلى قدرة في مقدورهم استخدامها والامتداد بها إلى آفاق بعيدة ؛ فإنهم يقبعون ويتكاسلون عن الاستمرار في ممارسة القراءة والكتابة .

ثالثاً - الذكاء : والذكاء هو القدرة على إقامة علاقات جديدة بين مقومات المواقف التي يوجد بها المرء ، والقدرة على استثمار الخبرات السابقة في المواقف الجديدة ، وأيضاً القدرة على ترتيب الأولويات والمفاضلة فيما بينها ، أعنى القدرة على التقييم وعقد المقارنات . وواضح أن الذكاء بهذه المعاني التي ذكرناها ، يشكل إمكانية هائلة لدى المرء ، يمكن أن يستثمرها بطريقة سليمة ، كما يمكن أن يستثمرها بطريقة رديئة . فبينما نجد العالم أو رجل الأعمال يستثمران ذكاءهما بطريقة ناعمة لهما وغيرهما ، فإن المجرم محترف الإجرام يستثمر ذكاءه في اقتراف الشرور والآثام .

من المعروف أن الإنسان ليس كائنًا منطويًا على ذاتيته ، كما أنه ليس كائنًا قطيعيًا منفتحًا بكليته على خارج نطاقه ، بل هو كائن يجمع بين الذاتية والغيرية ، بمعنى أنه يتعامل مع نفسه من جهة ، كما يتعامل مع غيره من جهة أخرى . وكما أنه مسئول عن تسيير داخلته وتوجيهها ؛ فإنه مسئول أيضا وعلى النحو نفسه ، عن تسيير الآخرين والتأثير فيهم وتوجيههم . ولعلنا نقوم فيما يلي بإلقاء الضوء على مسئوليات المرء عن غيره من الناس ، والتأثير فيهم وتوجيه سلوكهم :

أولاً - الرعاية والحماية : فالإنسان في أي موقع يكون مسئولاً على نحو أو آخر ، عن الناس المحيطين به ، والذين يتعامل معهم . صحيح أن المسألة نسبية ، ولكن مهما قلّت مسئولية المرء عن رعاية الآخرين وحمايتهم وتضاءلت ، فإنه يجد نفسه يحمل بعض المسئولية تجاههم إلى حد ما . وحتى الطفل الصغير ، يحس أنه مهتم بأهله ، وأنه لا بد أن يحميهم حتى يحمى نفسه . ومعنى هذا أن الشعور بمسئولية الرعاية والحماية ، قد يكون على المستوى اللاشعوري - بالمعنى العام لللاشعور - كما قد يكون على المستوى الشعوري . وتعبير آخر فإن المرء في أي موقع ، وفي أي عمر ، يواجه جانباً من طاقته الإرادية نحو الآخرين ، ويرنو إلى الحفاظ عليهم من أي شر يمكن أن يلحق بهم .

ثانياً - الإيحاء والتأثير بالتقليد : الواقع أن الناس يوجهون الإيحاءات بعضهم إلى بعض بصفة مستمرة ، كما أنهم يوحون إلى

الآخرين من حولهم بتقليدهم ، فيما يأتونه من ألوان سلوكية متباينة . ولعلنا نقول : إن هناك دينامية إيحائية تقليدية ، تعتمل في العلاقات الاجتماعية القائمة فيما بين الناس بعضهم وبعض . بيد أن تلك القدرة الدينامية ، تتباين بتباين الأشخاص . فمن الناس من يؤثرون في الآخرين على نحو عظيم جدًا ، بينما لا يكاد يؤثر غيرهم فيهم ، إلا على نحو ضئيل لا يكاد يُذكر .

ثالثاً - استثمار استعدادات ومواهب الآخرين : فلولا تأثير المرابين والمسئولين عن رعاية الأجيال ، لما كان لهم إذن أن يستثمروا ما هو مضمور بدخائلهم من استعدادات ومواهب . فالتربية بمعناها الواسع ، هي التأثير في الآخرين ، وحملهم على استثمار ما لديهم من تلك الإمكانات المضمورة بدخائلهم . فكلما تسنى استثمار تلك الإمكانات المضمورة ، فإن التربية تكون قد اضطلعت بوظيفتها على الوجه الأكمل . ومعنى هذا أن الإرادة تلعب في إخراج المقومات المخبوءة من نطاقها الداخلي الذي تختبئ فيه ، إلى الواقع السلوكي الخارجي .

الإمكانات المالية :

تعتبر الملكية من المقومات الأساسية في حياة المرء . فمن غير المعقول أن نتخيل إنساناً لا يمتلك أي شيء على الإطلاق . صحيح أن الناس يتفاوتون فيما بينهم من حيث ما يمتلكه كل منهم من ممتلكات . ولكن لا بد أن يحوز المرء ملكية معينة - كأنه ما تكون تلك الملكية والملكية التي يحوزها المرء يمكن أن تترجم إلى أرقام ، تشير إلى

قيمتها المالية . ولاشك أن الإمكانية المالية التي يحوزها المرء ، ذات أهمية كبرى ، وتلعب أدواراً أساسية في حياته ، لعنا نقدمها على النحو التالي :

أولاً - قيام المرء بأوّد نفسه وعائلته : فما يمتلكه المرء من مال ، يوظف أساساً في الإنفاق على ما تتطلبه الحياة من نفقات ، سواء لإشباع الحاجات أم لتلبية الرغبات ، ولتوفير الرفاهية . ويتعبّر آخر فإن ما يعتبر من الكماليات ، يستحيل مع التقدم الحضارى إلى ضروريات . فـجهاز التليفزيون كان عند ظهوره بالأسواق من الكماليات ، ولكنه استحال اليوم إلى ملكية ضرورية في كل أسرة ، فعدم وجوده بالبيت ، يشعر أهل ذلك البيت ، بأنهم محرومون من شيء ضرورى .

ثانياً - تحقيق الوضع الاجتماعى المرضى للمرء : فامتلاك المال ، يعتبر وسيلة أساسية تتكامل مع باقى الوسائل لتحقيق الوضع الاجتماعى الذى يرضى المرء . ففي ضوء ما يمتلكه من مقدرة مالية ، يتحدد جانب مهم من مكانته الاجتماعية . بيد أن تلك المقدرة المالية لا تكفى وحدها لتحديد مكانة المرء الاجتماعية . فتمّة مقومات أخرى كالعلم والسلوك والسمعة وغيرها ، تعتبر من العناصر الأساسية فى تحديد المكانة الاجتماعية التى يحتلها المرء .

ثالثاً - الافتتاح على الواقع الخارجى : فالواقع أن المرء ينفتح على الواقع الخارجى بقدر ما يكون فى حوزته من إمكانيات مالية . فمن حيث وسائل الاتصال ، ووسائل المواصلات ، فإن استخدامها

لتحقيق أهداف المرء ، يحتاج إلى مقدرة مالية معينة ؛ حتى يتسنى له الحصول عليها أو استخدامها .

ومما لا شك فيه أن المقدرة المالية ، ترمز لما يتسنى للمرء توجيهه من إرادة لتحقيق أهدافه فى الحياة . ومن الممكن أن نقول : إن هناك نوعاً من الإرادة ، هى الإرادة المالية يتسنى للمرء توجيهها الوجهات التى يرغب فى توجيهها إليها .

أولاً - هضم معوقات الإرادة : فالواقع أن هناك كثيراً من مثبطات الهمّة ، ومعوقات الإرادة ، تتأتى نتيجة اعتمال المواقف الصعبة فى وجدان المرء ، ونتيجة الصدمات النفسية التى تصيبه ، وأيضاً نتيجة الإحباطات التى تجابهه فى المواقف الاجتماعية التى يشترك فيها مع الآخرين . ولا يكون ثمة علاج من تلك الصدمات النفسية والإحباطات التى حدثت للمرء ، سوى الاعتكاف ، الذى يتسنى خلاله ، التخلص من الآثار المدمرة نفسياً التى نتجت عن تلك المواقف غير المواتية . ولعلنا نشبه الاعتكاف بالتوقف عن تناول الأطعمة لفترة من الزمن ؛ حتى يتسنى للمعدة أن تتخلص من الأطعمة عسيرة الهضم التى تناولها المرء . فالصوم بمثابة اعتكاف للمعدة ، والاعتكاف بعيداً عن العلاقات الاجتماعية هو الترياق الذى يتسنى بوساطته أن يتخلص المرء من الرواسب النفسية ، أو من المواقف التى سببت له الكدر أو الضيق أو التبرم بالحياة .

ثانياً - تجديد الطاقة الإرادية : وبالإضافة إلى التخلص من الرواسب النفسية غير المواتية ، والتى تعترض طريق سعادة المرء ، وتفتت فى عضده ، أو تصيبه بالانحرافات النفسية ؛ فإننا نجد أن الخلوة مع النفس ، أو الاعتكاف ، يشكل عاملاً مهماً فى تجديد الطاقة النفسية الإرادية . فطالما أن المرء وهو فى مواقف علائقية ، يتعامل خلالها مع الآخرين ؛ فإنه ينفق من مخزونه النفسى الإرادى . ولاشك أن كثرة الإنفاق من تلك الطاقة الإرادية المختزنة ، يعرض المرء لما يمكن أن نسميه بالإفلاس الإرادى ، وهو ما يمكن أن يدفع به إلى الانحترار . ولعلنا نشبه الإفلاس الإرادى بإفلاس التاجر وضياح ثروته ، وهو ما قد يدفع به إلى إنهاء حياته . ولكن منجاة المرء من الإفلاس الإرادى ، يكمن فى الخلوة مع النفس ، وفى اعتكافه بعيداً عن

الفصل السابع عشر إرادة الاعتكاف واستبطان الذات

التقاط الأنفاس :

مما لاشك فيه أن المرء عندما يظل فى حالة اتصال مستمر بالواقع الاجتماعى من حوله ؛ فإنه يحس بالتعب والضييق النفسى . ولذا فإنه يحس بالرغبة فى أن يهرب إلى الخلوة ، والاعتكاف على الذات ، فينخرط فى عالمه الداخلى الذى لا يشاركه فيه أحد ، ولا يقترحه عليه إنسان . ويتبدى هذا النوع من الخلو إلى الذات فى فترة النوم التى يقضيها المرء بالسرير ، سواء بالليل أم فى أثناء النهار بعد تناول وجبة الغداء . ولكن الاعتكاف لا يقتصر على وقت النوم ، بل إن المرء كثيراً ما يعتكف وهو فى إطار الواقع الاجتماعى من وقت لآخر ، حتى وهو موجود بين الناس ، أو وهو يمارس عمله . فما يسمى بالسرْحان ، إن هو سوى اعتكاف لحظى ، ينخرط المرء فى أثناءه فى التفكير بينه وبين نفسه . وحتى إذا ظل المرء يفكر فى أمور الآخرين ، أو وهو يستعرض بعض الأحداث التى وقعت له أو لغيره ، فإن تفكيره الشخصى بينه وبين نفسه ، يعتبر اعتكافاً . ذلك أنه لا يتعامل بطريقة مباشرة مع الناس من حوله ، بل يتعامل مع الصور الذهنية التذكيرية أو التخيلية التى يترسمها ويتأملها ويقلبها على أوجهها .

والواقع أن ما أسميناه بالتقاط الأنفاس فى أثناء الاعتكاف ، يشكل عاملاً مهماً بالنسبة للصحة النفسية ، وبالنسبة لتجديد الطاقة الإرادية الذاتية ، وهذا ما يتبدى على النحو التالى :

العلاقات الاجتماعية . فهو من جهة ، لا يظل ينفق من مخزونه الإردى ، كما أنه من جهة أخرى ، يقوم بتجديد طاقته الإردية .

ثالثاً - تقييم الذات وما اتخذته المرء من مواقف : فالمرء في الاعتراف يقف من نفسه موقف القاضي الذي يحاسب المتهم على ما تصرف به من تصرفات غير قانونية . فهو يعمد إلى تقييم المواقف التي مر بها ، ويسائل نفسه : هل كان مبدراً في الإنفاق الإردى ؟ وهل انخرط في أنشطة فارغة كان من الممكن أو كان يجب عليه ألا ينخرط فيها ، ويبدد طاقته الإردية ؟ إن هذه المحاكمة الذاتية تعتبر في ذاتها بمثابة تصحيح للسلوك الذي ينتهجه المرء ، بل إنه في هذه المسألة ، يقوم بإعادة تربية نفسه بنفسه ، فهو يشذب سلوكه ، ويتخلص مما اكتسبه من عادات أو تصرفات رديئة يمكن أن يبتعد عنها في المواقف التالية بعد انخراطه مرة أخرى في غمرة العلاقات الاجتماعية .

تجميع شتات النفس :

إن الشخص المعتكف يحاول جمع شتات نفسه التي توزعت على أنحاء متباعدة ، وفي اتجاهات قد تكون متعارضة أو حتى متناقضة . فالواقع أن الإنسان يتصف بالثنائيات في سلوكه . فهو يجمع في أنحائه القدرة على الانتحاء إلى الخير ، وأيضاً القدرة على الانتحاء إلى الشر ، كما أن لديه القدرة على الوقوع على المناسب من السلوك ، وعلى غير المناسب منه ، وعلى ما هو جميل وما هو قبيح ، وما هو مفيد له وللآخرين ، وما هو ضار به وبالآخرين . وهو لذلك في حاجة إلى تجميع شتات نفسه ، حتى يتخذ مواقف غير متمسمة بالتعارض والتضارب والتناقض . ولعلنا نقوم باستعراض الوظائف التي يضطلع بها الاعتراف بإزاء تجميع شتات النفس ، وبالتالي تحقيق التكامل فيما

بين التيارات الإرادية التي يستخدمها في الأنشطة المتباينة التي يضطلع بها ، على النحو التالي :

أولاً - تصحيح المفاهيم الذهنية : فالمرء وهو في حال الخلوة والاعتكاف ، يستطيع أن يستعرض ما يعتل في ذهنه من مفاهيم ، بل إنه يستطيع أن يفاضل بين المناهج الفكرية التي يستعين بها في تسيير نشاطه الذهني . فالكثير من الأخطاء السلوكية تنجم عن تشتت الذهن بين مناهج ذهنية متباينة ، لا تتصف بالتكامل . فهو في خلوته مع نفسه ، يكتشف أنه قد يتذرع بمناهج ذهنية متناقضة بعضها مع بعض ، ومن ثم فإنه إما أن يعمد إلى استبعاد التناقض الذهني ، وذلك بأن يعترزم عدم الأخذ إلا بالمناهج التي لا تتعارض بعضها مع بعض ، وإما أن يجرى عملية دياكتيكية بين كل منهجين متعارضين ، بحيث يخلص من ذلك الدياكتيكي الذهني إلى مناهج جديدة يخلص إليها بعد إعمال نشاطه الذهني الدياكتيكي في المناهج المتعارضة بعضها مع بعض .

ثانياً - تصحيح العواطف : وكما يفعل المرء في اعتكافه بإزاء المفاهيم الذهنية ، فإنه يفعل الشيء نفسه بإزاء ما يعتل لديه من عواطف متباينة . فالواقع أن الكثير من الناس يحملون بين أضلعهم عواطف متضاربة ، ويوجهونها نحو الشيء الواحد . وهذا ما يعرف بالتناقض الوجداني Ambivalence . فالشخص الذي تعتل لديه العواطف المتناقضة يحب ويكره الشيء الواحد في الوقت نفسه . ومن هنا فإن المعتكف يجلس إلى نفسه ؛ لكي يحدد موقفه بإزاء تلك العواطف المتناقضة . فهو إما أن يصمم على استبعاد الحب ، وإما أن يصمم على استبعاد الكراهية ، تجاه الشيء الواحد . وبذا فإنه يمكن أن يتصف بالتكامل الوجداني .

ثالثًا - تصحيح التصرفات والمواقف قبل اتخاذها : فالشخص المعتكف يستطيع أن يعمل على تحقيق التكامل فيما يعتزم الإتيان به من تصرفات ، أو بإزاء ما يعتزم قوله أو اتخاذه من مواقف . فالواقف أن الكثير من الناس يتخذون موقفًا ما في لحظة ، ثم يتخذون موقفًا مضادًا له بعد لحظة قصيرة ، ويكون هذا شأنهم أيضًا بإزاء ما يفوهون به من كلام . ولكن المرء إذا ما اعتكف وخلص إلى نفسه ، فإنه يستطيع أن يقر قراره ، على استبعاد تلك التناقضات السلوكية ، وأن يحل محلها السلوك الذي يتصف بالتكامل .

الإمساك بأول الخيط :

إن دوامة الحياة الزاخرة بالتغيرات والمتدفقة بالمشاغل ، كثيرًا ما تعمل على إشاعة الإحساس بالضياح في وسط الزحام ، فلا يدرى المرء ماذا يجب عليه أن يبدأ به ، وما الذي ينبغي أن يوجله من الأعمال . فهو يحس أن الواقع من حوله هو الذي يتقاضه كما يشاء ، وأنه قد فقد الزمام ، ولم يعد مسيطرًا على تنظيم حياته . فلنكأن دولاب الحياة الاجتماعية قد لفه في إطاره ، فصار بمثابة ترس صغير في آلة كبيرة ، ولم يعد صاحب القرار فيما يقدم على تنفيذه من أنشطة متباعدة .

ويتعبير آخر فإن المرء الذي ينهمك في الواقع الاجتماعي ، قد يحس بالضياح ، وأنه غير ممسك بلجام حياته ، وليس قائدًا لمسيرته . من هنا فإنه يجد نفسه في حاجة إلى وقفة مع النفس ، يتبين في ضوئها موقفه من الحياة . ويتعبير آخر فإذا شبهنا الحياة بمجموعة من الخيوط الكثيرة والمتشابهة ، فإن المرء لا يعرف من أين يمسك بأول الخيط ، حتى يكون بذلك مسيطرًا على الخيوط كلها . فهو إذا توقف

وتأمل واقعه بدقة وعمق ، فإنه يستطيع إذن أن يمسك بأول الخيط ، وأن يتحكم في الأولويات التي يجب الأخذ بها وتنفيذها . فهو يستطيع بالاعتكاف وتأمل موقفه وموقعه أن يتبين بدقة من أين يبدأ .

ولعلنا نستطيع أن نتبين كيفية الإمساك بأول الخيط ، بعد أن يخرج المرء من خلوته أو اعتكافه ، إذا نحن تأملنا الخطوات التالية التي عليه اتخاذها :

أولاً - تطوير خطة العمل : فالواقع أن الحياة متغيرة ومتطورة باستمرار . وفي كثير من الأحيان تختلف قوة تطور المرء ، عن قوة تطور الحياة من حوله . فهو قد يكون متخلفًا عن مسيرة تطور الواقع الاجتماعي من حوله ، كما أنه قد يكون متقدمًا عن تلك المسيرة الاجتماعية . وفي الحالتين ، فإنه يكون مفتقدًا للتكيف لواقعه الاجتماعي ؛ ذلك أنه ، لكي يكون متكيفًا لمجتمعه ، فإن عليه أن يسير في تطوره الشخصي بنفس إيقاع مجتمعه . من هنا فإن عليه أن يعتكف وينكفي على نفسه ، لكي يحدد موقعه بدقة من مجتمعه ، ويحاول أن يتكيف معه ، وذلك بأن يعمل على سد الفجوات الموجودة بينه وبين الواقع الاجتماعي من حوله . ولا يتأتى له ذلك إلا إذا استطاع أن يقوم بتطوير خطة العمل التي سوف يبدأ في تنفيذها ، بعد خروجه من خلوته .

ثانيًا - التكيف النفسي : ولكي يسد المرء الفجوة الموجودة بينه وبين مجتمعه ؛ فإن عليه أن يتناغم نفسيًا معه . وهذا التناغم الوجداني المطلوب تحقيقه بينه وبين مجتمعه ، لا يتأتى له ، إلا بالتأمل الذاتي ، حتى يقف على المعوقات التي تحول دون تحقيق ذلك التناغم الوجداني . فإعداد الذات وبذل الجهد للتناغم الوجداني مع المجتمع ،

الفصل الثامن عشر الإرادة الفردية

إرادة البقاء وإرادة الموت :

تعمل في قوام المرء إرادتان متضادتان هما : إرادة استمرار بقاء المرء على قيد الحياة ، وإرادة إنهاء حياته وقضاء نحبه . والواقع أن هاتين الإرادتين تكونان لدى معظم الناس في حالة توازن أو تكافؤ ، فلا تغلب إحداهما على الأخرى . ولكن إذا تغلبت إرادة البقاء على إرادة الموت ، فإن المرء يصير مثلها على أن يستمر على قيد الحياة ، ومنتشباً بالبقاء ، وتكون خشيته من الموت رهيبية . أما إذا تغلبت لديه إرادة الموت ، وصارت أقوى من إرادة البقاء ؛ فإنه يكون زاهداً في الحياة ، وغير مكترث بما يقيم أوده ، أو بما يبقى عليه في صحة وقوة ونشاط ، بل يكون عازفاً عن الاستمرار في القيام على شؤون معيشته ، وزاهداً في المأكل والملبس والاهتمام بمظهره الخارجي ، ويقع غالباً بالبيت لا يرغب في أن يخالط الناس ، أو أن يقيم علاقات جديدة معهم ، كما أن شوقه إلى الغائبين من أهله يفتر إلى حد بعيد . وعندما تطغى إرادة الموت أو الفناء على إرادة البقاء وتقهرها قهراً تاماً ، فإن المرء يتوقف عندئذ عن تناول الطعام ، ويخاصم النوم حفته ، وينخرط في الجنون أو يقدم على الانتحار . والواقع أن الجنون لا يعدو أن يكون انتحاراً ذهنيًا ، بينما الانتحار الجسمي انتحار جسدي .

لا يتأتى إلا بالاعتكاف وتأمل الواقع الاجتماعي عن بُعد ؛ ذلك أن المرء وهو في دوامة الواقع الاجتماعي ، لا يستطيع أن يستقري المجتمع موضوعيًا ، وذلك لأنه والمجتمع يكونان في تلاحم واتصال مباشر في بؤرة واحدة ، الأمر الذي يحول دون إمكان الوقوف موضوعيًا على ما يعتمل من اتجاهات وأوضاع .

ثالثًا - التحصيل المعرفي : ولكي يتحقق التوافق الاجتماعي بين المرء وبين المجتمع الذي يتعامل معه ؛ فإن الأمر يتطلب القيام ببعض الجهد في تحصيل المعرفة ، أو الاستئثار ببعض المراجع المتعلقة بالمشكلات التكيفية التي يحس بها المرء . فالمعرفة تعتبر بلا شك مفتاح الحل لكثير من المشكلات الاجتماعية والنفسية على السواء .

★ ★ ★

يملكه . بيد أنه لا يزهّد كل الزهّد في ممتلكاته ، وذلك لأن إرادة البقاء تلعب دورها المناسب . فهو يقف موقفاً وسطاً فيما بين الأنانية والتضحية .

إرادة التميّز :

والى جانب إرادة البقاء وإرادة الموت ، توجد إرادة التميّز ، أعنى الإرادة التي تحمل المرء على أن يكون مبايناً لجميع الناس ، وأن تكون له شخصية قائمة برأسها ، ومتمتعة بخصائص أو سمات لا يشاركه أحد فيها .

بيد أن إرادة التميّز لا تتنافى مع انتحاء المرء إلى التجانس والتكيف مع الآخرين . وأكثر من هذا فإن التميّز عن الآخرين ، قد يشكّل عاملاً أساسياً من عوامل ذلك التوافق أو التكيف . ويتعبّر آخر فإن هذه الإرادة ، قد تكون دافعاً نحو تحقيق التكامل فيما بين المرء والآخرين ممن حوله . ولعلنا نزع بحق أنه لولا وجود هذه الإرادة ، واعتمالتها في قوام كل شخص ، لما تجاذب الناس بعضهم نحو بعض ، ولما تحقّق التجانس فيما بينهم . فكما هو الحال بين الأقطاب المغنطيسية ، فإن القطبين المتشابهين يتآفران ، والقطبين المتمايزين أو المتباينين يتجاذبان .

ويحسن بنا أن نلقى الضوء على هذه الإرادة حتى نستبين أهميتها ، فنجد أن تلك الأهمية يمكن أن تتحدّد على النحو التالي :

أولاً - استثمار المواهب : فهذه الإرادة تشجّع المرء على استثمار مواهبه المظمورة بدخيلته . فإرادة التميّز تحمله على أن يبرز أعلى ما عنده من إمكانيات نفسية ، وأن يوظفها في مواقف الحياة المتباينة بغير تقاعس أو تكامل .

على أن إرادتي البقاء والموت تلعبان دوراً خطيراً في حياة المرء ، ولعلنا نقوم بالبقاء الضوء على هذا الدور ، فنجد أنه يتضمّن الجوانب التالية :

أولاً - تحقيق التوازن النفسي : فالواقع أن هاتين الإرادتين واعتمالهما في حياة المرء ، تعلمان على تحقيق سوية المرء النفسية ، وتوفّران له الاتزان الوجداني ؛ ذلك أن طغيان إرادة البقاء على إرادة الموت ، يؤدي إلى التوجس والخوف من المستقبل القريب والمستقبل البعيد على السواء . وذلك بسبب التشبث الشديد بالحياة . أما إذا طغت إرادة الموت على إرادة البقاء ؛ فإن ذلك الطغيان يعمل على الزهّد في الحياة واتخاذ الخطوات السريعة المؤدية إلى الهلاك . أما إذا تحقّق التوازن بين هاتين الإرادتين ، فإن المرء ينعم بالهدوء النفسي وبالآتزان الوجداني ، بل إنه يكون واقعياً مع نفسه ، ويقف على حقيقة ومنطق الحياة بطريقة موضوعية سديدة .

ثانياً - اتخاذ الموقف الواقعي من الحياة والموت : فالواقع أن التوازن إذا ما تحقّق بين إرادة البقاء وإرادة الموت ، فإن المرء ينظر عندئذ إلى الحياة بطريقة واقعية . فهو لا يتشبث بالبقاء من جهة ، كما أنه لا يخشى من الموت من جهة أخرى . ذلك أن التعادل بين هاتين الإرادتين ، يؤدي إلى تلاشى المبالغة في الاستمسك بالحياة ، كما يؤدي إلى ملامشة المبالغة في الشعور برهبة الموت ، والخشية من وقوعه والانخراط فيه .

ثالثاً - تحقيق التوازن فيما بين الأنانية والغيرية : فإذا ما تحقّق التوازن فيما بين إرادة البقاء وإرادة الموت ، فإن المرء لا يكون مثلهاً عندئذ على تملك كل شيء ، وحرمان الآخرين مما استطاع أن

ثانياً - التعاون مع الآخرين : وإرادة التميّز تحمل المرء على أن يتعاون مع الآخرين بما لديه من مواهب فريدة أو متميزة ، فهو في تعاونه ، لا يكون نسخة طبق الأصل من أي من الأشخاص الذين يتعاون معهم ، بل يتفرد بأنشطة تتأرز مع الأنشطة المتباينة التي يضطلع بها الآخرون الذين يقف إلى جانبهم ، ويستهدف تحقيق أهداف مشتركة بينه وبينهم .

ثالثاً - التنافس مع الآخرين : وفي مقابل التعاون مع الآخرين ، نجد أن إرادة التميّز تحمل المرء على أن يكتشف في قوامه خصائص وميزات تساعد على التفوق على المنافسين له في المجال الذي يهتم به ، ويرغب في التبريز فيه . فهذه الإرادة تساعد على التفوق في مضمار التنافس ، كحالتها بإزاء مضمار التعاون .

إرادة الدفاع عن النفس :

وهذه الإرادة تلعب دوراً مهماً في الحفاظ على الذات . فالواقع أن الإنسان لا يعيش مع الآخرين في سلام دائم ، بل كثيراً ما تتشأ النزاعات بينه وبينهم . ولقد يلقي المرء هجوماً مباعاً من أشخاص لم يسبق له أن عرفهم ، أو تعامل معهم . فلولا اعتماد هذه الإرادة في قوامه ، إذن لقهروا وتحطم كيانه . ولكنه بالاستعانة بهذه الإرادة يقاوم العدوان ، ويدفع عن حياضه ما يمكن أن يبتلى به من شرور نتيجة العدوان عليه .

وعلينا أن نلقى الضوء على هذه الإرادة ، لتبيين الوظائف التي تضطلع بها لحماية الفرد من تلك الشرور التي يمكن أن تلحق به ، لولا وجودها واعتمادها في حياته :

أولاً - الإحساس بالألم : فهذه الإرادة تستخدم الشعور بالألم لكي تنبيه المرء إلى أن ثمة خطراً أصابه أو يهدده بالنواب . فلدغمة العقرب أو الناموسة تؤلم المرء ، والألم الذي تحدثه اللدغة ، بمثابة إشارة إلى خطر يهدد الجسم بالتسمم في حالة العقرب ، وبالإصابة بالمalaria في حالة الناموسة .

ثانياً - الشعور بالجوع والعطش : فإرادة الدفاع عن النفس ، تتذرع بالشعور بالجوع والعطش ؛ لتنبيه المرء إلى أن خطراً جسيماً يتهده ، إذا لم يتناول الطعام ، وإذا لم يرتو بالماء .

ثالثاً - الشعور بالخوف : وعلى النحو نفسه ، فإن إرادة الدفاع عن النفس ، تستخدم الشعور بالخوف ؛ لكي تستحث المرء على الهرب من مصدر خطر يتهده . فلولا اعتماد هذا الشعور بالخوف في قلب المرء ، لتعرض إذن للأخطار الجسيمة التي تهدد حياته .

رابعاً - الشعور بالغضب : والغضب كشعور يعثور المرء ، يعتبر نتيجة لاعتماد إرادة الدفاع عن النفس . فالشخص الذي يغضب ، قد يعبر عن غضبه بالصوت ، أو بملامح الوجه ، أو بالضرب والهجوم على الخصم ، أو حتى بالقتل .

خامساً - الشعور بالإحباط : فإرادة الدفاع عن النفس ، تستخدم الشعور بالإحباط نتيجة الفشل في تحقيق الأهداف ، للقيام بالدفاع عن النفس بالنسبة للمستقبل . فهذا الشعور يعتبر إنذاراً وتحذيراً من مغبة اتباع منهج ردىء في الحياة ، وحض المرء على إحلال منهج جديد جيد محله .

إرادة التضحية :

مكتوفة اليدين في أية لحظة من لحظات العمر ، بل إنها دائبة على تقديم التقارير المستمرة للمرء عن وضعه ، ولا تأخذ في اعتبارها الحاضر فحسب ، بل تأخذ في اعتبارها الماضي والمستقبل أيضا . فالخبرات اللاشعورية التي تطل برأسها في حالات الأمراض النفسية ، وفي مواقف الحياة اليومية ، إنما هي في الواقع عبارة عن عمليات تقييم تضطلع بها هذه الإرادة التقييمية لذات المرء .

★ ★ ★

وهذه الإرادة هي في الواقع تعبير غير مباشر عن إرادة الدفاع عن النفس . فالمرء يحمل بين أضلعه جهازين نفسيين رئيسيين هما جهاز « الأنا » وجهاز « النحن » . والجهاز الأول يمثل شخصية المرء . بينما يمثل الجهاز الثاني الشخصيات التي يشعر بالانتماء إليها ، وقد استوعبها في قوامه النفسي ، فصارت من صميم شخصيته . فإذا ما أصيب أحد الأشخاص الذين يشكلون هذا الجهاز النفسي بالأذى ، فإنه يحس عندئذ بالألم يعتصر قلبه . وإذا ما تهدده خطر ما على حياته ، أو على صحته أو سمعته ؛ فإنه يسارع بالدفاع عنه ، حتى ولو تطلب ذلك الدفاع ، التضحية بالرخص والغالي . ولقد تتطلب التضحية ، تعريض المرء للإصابة بالجراح ، أو بإحدى العاهات ، أو حتى بالموت ، في سبيل تخليص الشخص المحبوب ، الذي يشكل جانبا رئيسيا من جهاز « النحن » .

إرادة تقدير الذات :

فالواقع أن المرء دائم التقييم لنفسه من جميع الجوانب ، مقارنة بالآخرين من حوله . فهو يقيم نفسه جسميا وعقليًا ووجدانيًا وإراديًا واجتماعيًا . وبتعبير آخر ، فإنه إما أن يحس بالرضا عن نفسه ، وإما أن يحس بالسخط وبالتقصير أو بالفشل .

يبد أن تقييم المرء لنفسه ، قد يتم على المستوى الشعوري ، كما أنه قد يتم على المستوى اللاشعوري . فإرادة تقدير الذات لا تقف

الفصل التاسع عشر الإرادة الجماعية

تراكيبية الإرادة الجماعية :

من الديدبييات أن الإرادة الجماعية ، لا تصدر إلا عن مجموع أفراد الجماعة . بيد أن هذه الإرادة ، ليست حاصل جمع إرادات الأفراد ، كما أنها ليست محصلة إراداتهم ، بل هي نتيجة التفاعلات الخبزية بينها جميعا ، أو بين الغالبية منها ، فيتأتى عن تلك التفاعلات الخبزية التي تشبه التفاعلات الكيميائية ، مركب خبزي ، هو هذه الإرادة الجماعية ، التي تختص بمجموعة من الخصائص نستعرضها على النحو التالي :

أولاً - التفردية : فالإرادة الجماعية تتباين عن جميع الإرادات الفردية التي انخرطت في التفاعلات الخبزية ، التي أفضت إليها وأنتجتها ، بل إنها تتباين عن أية إرادة جماعية أخرى ، خاصة بأية جماعة أيًا كانت . فهي نسيج وحدها Sui generis . بمعنى أنها غير مسبوقة ، وغير ملحوقة .

ثانياً - التركيزية : فالإرادة الجماعية تتسم بأنها مركزة في بورة إرادية واحدة . وبتعبير آخر ، فإنها ليست مجرد نتيجة تتأتى عن تحقيق التكامل فيما بين الإرادات الفردية المتباينة ، بل هي مركب بمعنى الكلمة ، شبيه بالماء الذي يتأتى عن تفاعل الأوكسوجين والهيدروجين ، فينتج عن ذلك قوام يتصف بالوحدة . والماء ليس

مجرد تآلف أو انسجام أو تكامل بين هذين الغازين ، أي أننا لا نعثر فيه على المقومات التي اشتركت في تركيبه .

ثالثاً - تباين الأهداف : ومن خصائص الإرادة الجماعية ، أنها تتباين في أهدافها عن أهداف أية إرادة فردية ، اشتركت في العملية التراكيبية التي نتجت عنها . فما تزنو الإرادة الجماعية إلى تحقيقه ، لا يتطابق بحال مع ما تزنو إلى تحقيقه أية إرادة من الإرادات الفردية التي اشتركت في العملية التفاعلية الخبزية . بيد أن هذا لا يعنى وجود تناقض فيما بين أهداف الإرادة الجماعية ، وأهداف الإرادات الفردية ، بل يعنى أن الإرادة الجماعية ، تستهدف أهدافا أخرى غير تلك الأهداف التي يزنو إليها كل فرد من الأفراد الذين تفاعلت إرادته مع إرادات الأفراد الآخرين . والتباين بين أهداف الإرادة الجماعية وأهداف الإرادة الفردية ، يتجلى فيما يتعلق بالمدى الذي تشمله أهداف الإرادة الجماعية ، وأيضاً من حيث العمومية . فالمدى الذي تشمله الإرادة الجماعية بعيد الشأو ، بحيث لا يكون من الممكن أن يستبينه أى فرد من أفراد الجماعة ، كما أن الأهداف الجماعية تتصف بالعمومية التي ينضوى تحتها الكثير من الجزئيات ، التي يمثل كل جزء منها ، هدفاً من الأهداف الفردية .

رابعاً - الانطلاق بغير قيود : ومن خصائص الإرادة الجماعية ، أنها لا تخضع لأى تحكم خارجي . فهي تنطلق إلى حيث نشأ ، دون أن تكون ملجئة بأية سلطة خارجية . وحتى قادة الجماعة ، لا بد أن يخضعوا لها ، وأن يعترفوا بأنهم يستلهمون أهدافها . فإذا هم فرضوا أنفسهم عليها ، فإنها تنبذهم ، وتأمّر أفرادها بالثورة عليهم ، وإقصائهم عن سدة القيادة .

تلك التفاعلات ، التي تتخرب فيها الإرادة الجماعية من دخليتها وبطريقة دينامية ، يجعل من المستحيل تحديد ما سوف تسفر عنه من نتائج .

ثالثاً - المؤثرات الجديدة تتفاعل مع المركب الإرادى : قل مؤثر جديد يصدر عن الإرادات الفردية ، أو نتيجة للوقائع والأحداث الخارجية التي تحيط بالجماعة ، يخرب في تفاعل ، مع قوام المركب الخبرى الخاص بلإادة الجماعة . والشأن هنا كالأشأن بالنسبة للجسم ، الذى يتفاعل مع المواد الغذائية فيستوعبه ، ولا يكون الغذاء المستوعب مؤثراً فى جوهر القوام الجسمى ، بل يعمل على دعمه ومساندته فحسب .

تطويرية الإرادة الجماعية :

حيث إن الإرادة الجماعية تتخرب فى سلسلة متصلة من التفاعلات الخبرية . فإنها بالتالى تتطور بصفة مستمرة . وقد سبق أن قلنا : إن الإرادة الجماعية - وأيضاً الإرادة الفردية - بمثابة سلسلة من العمليات المتصلة . وبالتالى فإنها تستمر فى التطور . ولعلنا نقوم بإلقاء الضوء على هذه الإرادة الجماعية ؛ لنستبين ملامحها وسماتها على النحو التالى :

أولاً - إن تطورها لا يعنى التقدم بالضرورة : فالواقع أن التطور الذى تتخرب فيه الإرادة الجاعية ، قد يكون تطوراً تقدمياً ، كما أنه قد يكون تطوراً رجعيًا . وبعبير آخر فإن ذلك التطور قد يكون تطوراً ارتقائياً ، كما أنه قد يكون تطوراً تدهورياً . وسواء أكان التطور ناحياً منحنياً تقدمياً أم ناحياً منحنياً تدهورياً ، فإنه يكون محكوماً بالحالة التى تكون عليها الإرادة الجاعية ، من حيث الصحة أو المرض ، ومن حيث النشاط والخمول ، ومن حيث مواتة الفرص الخارجية لاعتمالها ، أو عدم توافرها .

خامساً - سحق الخارجين عليها : والإرادة الجماعية ، تتحو إلى سحق المتطاولين عليها ، أو المناولين لها من الأفراد الذين اشتركوا فى تركيبها . فهى وإن كانت صادرة عن مجموع الإرادات الفردية عن طريق التركيب الخبرى ، فإنها تستقل بذاتها ، ولا تقبل أن يقف أحد فى طريقها . فهى لا ترحم المارقين عن سلطانها ، بل تهيمن على جميع الأفراد المنضوين تحت مظلتها .

تفاعلية الإرادة الجماعية :

ومن الحقائق التى يجب أن نضعها نصب أعيننا ، أن الإرادة الجماعية ، ليست شيئاً من الأشياء ، وليست قواماً ثابتاً ، لا يتغير أو يتعدل ، بل هى عبارة عن سلسلة من العمليات المتتالية . بيد أن هذه السلسلة ليست سلسلة من الأحداث ، يمر كل حدث منها إلى ما بعده ، بل هى عبارة عن أحداث متوالدة بعضها من بعض . فهى عبارة عن عمليات تفاعلية تتلو بعضها بعضاً ، لعلنا نقوم بإلقاء الضوء عليها لنتبين ملامحها وخصائصها ، على النحو التالى :

أولاً - دينامية التفاعلات : فالإرادة الجماعية تتسم بأنها تتفاعل تلقائياً من دخليتها . فتفاعلاتها غير مدفوعة من الخارج ، وليست نتيجة لخطة مرسومة يخططها شخص أو أشخاص . فالتفاعلات التى تتخرب فيها الإرادة الجماعية ، تنشأ من دخليتها ومن صلب كيانها كما قلنا ، وليست نتيجة لمؤثرات خارجية . فتللك التفاعلات ، تتأثر بعوامل أو مثيرات معينة ، تعتبر عوامل مساعدة تستحث ظهورها .

ثانياً - استحالة التنبؤ بالنتائج : وبالإضافة إلى دينامية التفاعلات الخبرية ، التى تحدث فى قوام الإرادة الجماعية ، فإن المرء لا يستطيع أن يتنبأ بما سوف تفضى إليه تلك التفاعلات الخبرية . ذلك أن ائتمال

ثانياً - إن تطورها اعتباطى ولا يحقق هدفاً محدداً : فتطور الإرادة الجماعية ، لا يسير وفق خطة محددة يمكن التنبؤ بها ، وتحديد معالمها ، أو تعيين الخطوات التى سوف تتبعها . وهذا ينطبق بصفة خاصة بإزاء إرادة الجمهرة ، التى تنشأ فجأة وتوهج ، ويمكن أن تعمل فى مواقف غير محسوبة ، ولا يمكن تحديد النتائج التى سوف تترتب على اعتمادها فى تلك المواقف المفاجئة . فعندما تثور الجمهرة لأسباب وجيهة أو لأسباب غير وجيهة ؛ فإنها لا تبقى ولا تذر ، ولا يمكن التنبؤ بالوقت الذى سوف تهدأ فيه ، أو تتخذ الطريق المعقول ، وتتخلص من التصرفات الجمهرية المندفعة بغير ترو ، أو بغير حساب للخصائر التى سوف تنأتى عن اندفاعها ، بغير إجماع أو تريبث .

ثالثاً - تناسب تطور الإرادة الجماعية عكسياً مع تطور الإرادات الفردية : فكلما احتدم تطور الإرادة الجماعية ، فإن الإرادات الفردية تبطئ فى تطورها . والعكس أيضاً صحيح . فكلما احتدم تطور الإرادات الفردية ، فإن تطور الإرادة الجماعية ، يأخذ فى الخفوت .

استمرارية الإرادة الجماعية :

من الطبيعى أن تستمر الإرادة الجماعية فى النشاط ، وفى إفراز النتائج المستمرة ، بل وفى تسيير دفة الجماعة . ذلك أن الجماعة لا تتوقف مع توقف بعض الإرادات الفرعية عن العمل والنشاط . فطالما أن الجماعة قائمة ، فإن إرادتها تظل تعمل فى نشاط . ولعلنا نتناول هذه الاستمرارية ، التى تتصف بها الإرادة الجماعية ، وننتصفح خصائصها ، فنجد أن تلك الخصائص ، يمكن أن تتحدد على النحو التالى :

أولاً - نسبية الاستمرارية : فنحن عندما نقول : إن الإرادة الجماعية مستمرة فى عملها بغير توقف ، فإننا لا نعنى الاستمرارية المطلقة ، بل نعنى الاستمرارية النسبية . فليست هناك جماعة خالدة ومويدة . ولكن إذا نحن قارنا الإرادة الجماعية بالإرادات الفردية ، فإننا نجد أن الإرادة الجماعية مستمرة فى الاعتمال ، بينما نجد أن الإرادات الفردية مرهونة باستمرار كل فرد من أفراد الجماعة على قيد الحياة ، وباستمراره فى حالة نشاط وتأثير فى الأشخاص المتعاملين معه .

ثانياً - التعرض للقوة والضعف : وعلى الرغم من هذه الاستمرارية ، فإن الإرادة الجماعية تعلق وتهبط ، وتقوى وتضعف ، وتتنشط وتعرض للخمول والذبول . فاستمرارها لا يعنى أنها تعمل بقوة واحدة . فهى تشبه المرء فى حياته ، وفى تعرضه للإصابة بالمرض الذى يخذ من نشاطه فى بعض الأوقات ، ومن تمتعه بالصحة والنشاط والقوة فى أوقات أخرى .

ثالثاً - الثقلب المزاجى : والإرادة الجماعية أكثر تقلباً من الناحية المزاجية من الإرادات الفردية . ذلك أن ذكاء الجماعة أخفض مستوى من ذكاء كثير من الأفراد الذين تعبر عنهم جماعياً . ومن المعروف أنه كلما انخفض مستوى الذكاء ، فإن الفرصة تكون متاحة بدرجة أكبر ليزوغ الثقلبات المزاجية ، والتردد بين الحماس والفتور ، وبين الرضا والسخط ، وبين التفاؤل والتشاؤم .

★ ★ ★

الفصل العشرون التربوية والإرادة

التربية الجسمية :

علينا أن نضع نصب أعيننا أن التربية إما أن تكون تربية تلقائية ، أو تربية مقصودة . وهذا ينطبق بإزاء أنواع التربية الأربعة التي سوف نعرض لها في هذا الفصل ، وهي التربية الجسمية ، والتربية العقلية ، والتربية الوجدانية ، والتربية الأخلاقية . والواقع أن التربية التي يكتسبها المرء ، قد تكون تربية جيدة ، وقد تكون تربية رديئة ، كما أنها قد تكون مناسبة لمجتمع ما بعينه ، ولا تكون مناسبة لمجتمع آخر ، كما أنها قد تكون مناسبة لمجتمع ما في عصر ما ، وفي ظل ظروف معينة ، ولكنها لا تكون مناسبة للمجتمع نفسه في عصر آخر ، وفي ظل ظروف أخرى . والتربية الجسمية تتضمن مجموعة من الزوايا التي نقوم باستعراضها على النحو التالي :

أولاً - التربية العضلية : وهذه التربية تهتم بأن تحقق نسباً جسمية صحيحة بين عضلات الجسم المتباينة . ومن الطبيعي أن تبدأ هذه التربية منذ الطفولة ، وهي لا تهتم بالعمل على أن تنمو العضلات لدى الأصحاء من الأطفال والمراهقين والشباب فحسب ، بل تهتم أيضاً بتقوية العضلات المتخلفة عن معدل النمو السليم .

ثانياً - التربية العصبية : وهذه التربية ، وإن كانت واقعة في نطاق مسئولية الطب ، فإننا نعتقد أن التربية والطب متلاحمان أو

مندمجان بعضهما مع بعض . فالطبيب عندما يعمد إلى ممارسة العلاج الطبيعي ، فإنه يكون عندئذ قد استعان بفنون التدريب التي تعتبر شركة فيما بين الطب والتربية . فطالما أن الطبيب يضع نصب عينيه مثلاً لما يجب أن تكون عليه الحالة العصبية لمن يقوم برعايتهم ، فإنه يكون متخذاً إذن ومستعيناً بوسائل وفنون تدخل في مجال الطب من جهة ، كما تدخل في مجال التربية من جهة أخرى .

ثالثاً - التربية الحركية : وهذه التربية تعتمد على تدريب المرء منذ طفولته على الإتيان بالحركات الرشيقة المنسجمة بعضها مع بعض . والمقصود بالحركات الرشيقة ، تلك الحركات الاقتصادية التي التي تسمح للمرء بأن يؤدي الأنشطة المتباينة من أقصر طريق ممكن ، وبأقل جهد ممكن ، وفي أجمل هيئة ممكنة . والتربية الحركية لا تقتصر على التدريبات المتعلقة بطريقة الجلوس والوقوف والمشي والجرى ، بل تتعدى هذا إلى ما يأتيه المرء من حركات بوساطة ملامح وجهه ، سواء في حالة الابتسام أم الضحك أم العبوس أم البكاء . وبتعبير آخر ، فإن كل ما يأتيه جسم المرء من حركات ، وما يديه من أنشطة ، إنما يكون محكوماً بقوة إرادته التي تعمل في قوامه على المستوى الشعوري الإرادي ، وعلى المستوى اللاشعوري التلقائي . ولا شك أن التربية التي يتلقاها المرء من الآخرين ، أو التربية الذاتية التي يتذرع بها تجاه جسمه ، إنما تستعين بقوة إرادته .

التربية العقلية :

إننا نؤمن بأن ما يتلقاه المرء من مؤثرات معرفية ، يتفاعل بعضه مع بعض ، فيتأثر نتيجة ذلك التفاعل الذي تتخرب فيه المدركات الحسية ، والذكريات المخترنة بالذاكرة ، والأخيلة التي تقوم المخيلة بتصنيعها باستخدام الخامات الإدراكية والخاصة بالذكورية . والمفاهيم

المجردة والمعّمة في الوقت نفسه ، والمستخلصة من هذا كله ...
 نقول : إنه يتأتى عن هذه الحصيلة من التفاعلات الخبّرية الذهنية ،
 قوام قائم برأسه ، أو جهاز نفسى معرفى يسيطر على العمليات
 التفاعلية الذهنية التى تتلو نشأته بدخلية المرء . وبتعبير آخر ، فإن
 هذا الجهاز العقلى المستقل ، والقائم برأسه ، هو الذى يسيطر على
 جميع العمليات التفاعلية الخبّرية التالية ، مستخدماً فى ذلك قوة الإرادة
 التى تعمل على المستويين الشعورى الإرادى ، واللاشعورى التلقائى
 كما قلنا . وكلما استعان المرء بتربيته لذاته من جهة ، واستفاد مما
 تلقاه ويتلقاه من تربية تصدر إليه من الآخرين ، فإن اعتماد قوة إرادته
 يكون أكثر فائدة ونجوعاً .

ولعلنا نقوم بتقديم العوامل التربوية التى تساعد على اعتماد قوة
 إرادة المرء فى هذا النوع من التربية على النحو التالى :

أولاً - ثقة المرء فى استعداداته العقلية : فكما كان المرء أكثر
 ثقة فيما فطر عليه من استعدادات عقلية ، من الممكن استثمارها
 والخروج بها من مجال الاستعدادات إلى مجال القدرات ، فإنه يكون
 خليقاً إبن بالعمل على التوصل إلى نمو عقلى ممتاز . وبذا فإن تربية
 عقله ، واستثمار ما أهل به من استعدادات يكونان على نحو ممتاز .

ثانياً - ردود الفعل التى يتلقاها المرء من الآخرين : وكلما كانت
 ردود الفعل التى يتلقاها المرء من الآخرين قوية ؛ فإنه يكون أكثر
 إقبالاً على استثمار استعداداته العقلية ، وأكثر مداومة على استخدام
 قدراته الذهنية لغزو آفاق معرفية جديدة . ونقص بردود الفعل ما يبيده
 المحيطون بالمرء من تشجيع وإعجاب ورضا عن مستوى التقدم
 الذهنى الذى أحرزه .

ثالثاً - ما يتلقاه المرء من نقد وإظهار للنقائص : فالواقع أن
 وقوف المرء على ما ينقصه ، أو على ما يعيب طريقته فى التفكير
 والتعبير والتصرف ، كثيراً ما يودى إلى تصحيح المسار ، واجتباب
 الأخطاء والتخلص من المزالق التى تردى فيها . ولكن يشترط لكى
 يتقبل المرء النقد من الآخرين ، أن يحس بأن النقد الموجه إليه ليس
 للحظ من همته ، أو لتعويق مسيرته ، أو للفت فى عضده ، بل نتيجة
 غيرتهم على استمرار تقدمه ، ولكى يصير تفكيره مستقيماً وعلى
 ما يرام .

التربية الوجدانية :

عندما نذكر التربية الوجدانية ، فإننا نعنى مجموعة من العمليات
 التى نقوم باستعراضها على النحو التالى :

أولاً - بلورة الوجدان حول موضوعات سامية : فالواقع أن
 التربية الوجدانية عبارة عن سلسلة من العمليات المؤثرة فى وجدان
 المرء ، الذى يعتبر بمثابة الخامة التى تصنع منها العواطف .
 فبالتربية الوجدانية العفوية والمقصودة ، يتسنى تصنيع العواطف ؛
 نتيجة البلورة الوجدانية ، التى لا تتأتى إلا باعتماد الإرادة على نحو
 شعورى ، أو على نحو لاشعورى .

ثانياً - التعويض عن البلورات العاطفية التى تتحلل : فمن
 المعروف أن العواطف الإنسانية - شأنها شأن جميع أنحاء الوجود
 البشرى - تتحلل وتتلاشى . فما يتم تبلوره من وجدان حول محاور
 معينة ، لا يظل على نفس الحال من التبلور ، بل يخفت ويتحلل .
 فلا بد إذن من الاستمرار فى العمليات التعويضية ، بحيث يتسنى
 إحلال بلورات عاطفية جديدة ، محل البلورات العاطفية التى تحللت .

كفة القيم النسبية كالمنفعة والكسب وعلو المقام والرفعة ، أو ما يمكن أن يتأتى من نتائج عملية له أو لغيره .

رابعاً - ترجيح كفة التضحية على كفة الأمانة : فعلى الرغم من أن التربية الأخلاقية ، تحمل المرء على أن يكلف نفسه ويرعاها ويحافظ عليها ؛ فإنها تعمل أيضاً على تدريب من تقوم بتربيتهم على ترجيح كفة الآخرين على كفتهم الذاتية . فالمرء الذى ربي تربية أخلاقية سليمة ، يحاول دائماً أن يشبع حاجات الآخرين قبل أن يشبع حاجاته الشخصية ، وأن يفضلهم على نفسه . بيد أن هذه التربية تحاول أيضاً حمل الناس على التذرع بالحكمة فى الموازنة المستبصرة بين المصالح الشخصية ومصالح الآخرين .

خامساً - إشاعة السعادة حول المرء : وهذه التربية الأخلاقية ، تحاول أن توجه إرادة المرء إلى إشاعة السعادة فى قوامه من جهة ، وفى الجو المحيط به من جهة أخرى . وبتعبير آخر تحاول أن تجعل من المرء مصدر إشعاع لما يعتمل بدخيلته من سعادة . فكلما كان المرء أكثر سعادة فى حياته الشخصية ، فإنه يكون خليقاً ببث سعادة أكثر وأعم فى الناس المحيطين به ، والمتعاملين معه .

★ ★ ★

ثالثاً - العمل على ملاشاة البلورات العاطفية الرديئة : ذلك أن الوجدان لا يتبلور حول موضوعات جيدة فحسب ، بل يتبلور أيضاً حول موضوعات رديئة . فما الاعوجاجات الخلقية والنفسية التى تصيب شخصية المرء ، سوى بلورات عاطفية رديئة ، تكونت حول موضوعات رديئة . فمن الواجب إذن ، اتخاذ كافة الوسائل ، التى يتسنى عن طريقها تقويض تلك البلورات العاطفية الرديئة .

التربية الأخلاقية :

بالنسبة لهذا النوع من التربية ، فإننا نقصد مجموعة من العمليات ، التى نستطيع تحديدها وتقديمها على النحو التالى :

أولاً - الحب والكراهية : فالتربية الأخلاقية السليمة ، هى تلك التربية التى تستخدم إرادة المرء فى سبيل حب الخير من جهة ، وفى سبيل كراهية الشر من جهة أخرى . وبالتالي فإن الشخص الذى نجحت التربية فى تقويم سلوكه ، يكون منسجماً مع فاعلى الخير ، وناقراً من فاعلى الشر . فمن يحب الخير ، يحب الأخيار ، ويكره الأشرار . ومن يكره الخير ، يحب الأشرار ، ويكره الأخيار .

ثانياً - التمييز بين المنفعة والخير ، وبين الضرر والشر : فالشخص الذى صلحت تربيته الأخلاقية ، لا يعتبر أن كل منفعة هى خير ، وأن كل ضرر هو شر ، بل يعرف جيداً أن بعض المنفعة خير ، وبعضها شر ، كما أن بعض الضرر شر ، وبعضه خير . من هنا فإنه يتبع طريق الخير ، سواء تأتت عنه منفعة أم ضرر ، وينأى بنفسه عن الشر ، سواء تأتت عن ذلك النأى منفعة أم تأتت عنه ضرر .

ثالثاً - ترجيح كفة القيم المطلقة على كفة القيم النسبية : فالشخص الذى نجح فى توجيه إرادته بتجاه تربية نفسه تربية أخلاقية سليمة ، يرجح كفة القيم المطلقة كقيم الأمانة والصدق والشرف ، على

الفصل الرابع : العقل والإرادة :

- ٢٥ - الإدراك الحسى والإرادة
٢٧ - الذاكرة والإرادة
٢٩ - الخيال والإرادة
٣٠ - المفاهيم والإرادة

الفصل الخامس : العاطفة والإرادة :

- ٣١ - العاطفة المتبلورة حول الذات
٣٣ - العاطفة المتبلورة حول الآخرين
٣٤ - العاطفة المتبلورة حول الأشياء
٣٥ - العاطفة المتبلورة حول المجردات

الفصل السادس : الحب والإرادة :

- ٣٧ - الحب وإرادة التعلق
٣٨ - الحب وإرادة الرعاية
٤٠ - الحب وإرادة العطاء
٤١ - الحب وإرادة التضحية
٤٢ - الحب وإرادة الاندماج

الفصل السابع : الشعور بالنقص والإرادة :

- ٤٤ - فيما يتعلق بالجسم
٤٦ - فيما يتعلق بالملكية
٤٨ - فيما يتعلق بالمعرفة
٤٩ - فيما يتعلق بالمكانة الاجتماعية

الفهرس

الصفحة

الموضوع

- المقدمة ٣
الفصل الأول : معنى الإرادة :
- المعنى السيكولوجى ٥
- المعنى التعبيرى ٧
- المعنى الأدانى ٨
- المعنى التائثيرى ٩
- المعنى العلائقى ١٠

الفصل الثانى : مقومات الإرادة :

- الركيزة الجسمية ١١
- المثيرات البيئية ١٣
- الإمكانيات المتاحة ١٤
- العادات المكتسبة ١٥
- الأهداف المتجددة ١٦

الفصل الثالث : الصحة والإرادة :

- تخلف النمو ١٨
- الإرهاق والنكهة ١٩
- الأمراض الجسمية ٢١
- الإصابات بالعاهات ٢١
- الحالات النفسية ٢٣

الفصل الثامن : الثقة بالنفس والإرادة :

- ٥٠ - توفير الأسباب
- ٥٢ - إزالة العقبات
- ٥٣ - الإيحاء الذاتي

الفصل التاسع : أمراض الإرادة :

- ٥٦ - برود الإرادة
- ٥٧ - تفجر الإرادة
- ٥٩ - تذبذب الإرادة
- ٦٠ - تقطع الإرادة
- ٦١ - تقوقع الإرادة

الفصل العاشر : العقد النفسية والإرادة :

- ٦٣ - تعويق الإرادة
- ٦٥ - الانعكاس الإرادي
- ٦٦ - الانحراف الإرادي
- ٦٧ - الإصابة بالانحراف الجنسي

الفصل الحادي عشر : إرادة الهدم والبناء :

- ٧٠ - المستوى البيولوجي
- ٧٢ - المستوى الوجداني
- ٧٣ - المستوى العقلاني
- ٧٤ - المستوى التكنولوجي
- ٧٥ - المستوى الاجتماعي

الفصل الثاني عشر : إرادة التغيير :

- ٧٧ - التغيير السيكولوجي
- ٧٩ - التغيير الوظيفي
- ٨١ - التغيير الإبداعي

الفصل الثالث عشر : إرادة تعديل السلوك :

- ٨٣ - تعديل العادات
- ٨٤ - تعديل نمط الحياة
- ٨٦ - تعديل الأنشطة
- ٨٨ - إرادة تعديل الاتجاهات

الفصل الرابع عشر : إرادة التخطيط :

- ٩٠ - التخطيط الاستراتيجي
- ٩٢ - التخطيط الديناميكي
- ٩٣ - التخطيط الفردي
- ٩٥ - التخطيط الفوقي
- ٩٦ - التخطيط التصاعدي

الفصل الخامس عشر : إرادة التنفيذ وإرادة التغيير :

- ٩٨ - إرادة التنفيذ الشيني
- ١٠١ - إرادة التعبير المعنوي
- ١٠٢ - إرادة التنفيذ العلانقي

الفصل السادس عشر : الإمكانيات والإرادة :

- ١٠٥ - الإمكانيات الذاتية

أدبيات

نبع الآداب والثقافة المعاصرة

من : أدب ، وقصة ، ورواية ، ودراسة ، وسير ، وبحوث ، وفكر ، ونقد ،
وشعر ، وبلاغة ، وعلوم ، وتراث ، ولغات ، وقضايا وتاريخ ،
 واجتماع ، وعلم نفس ، ورحلات ، وسياسة ... إلخ .

- ١ - الإنسان الباهت طيبة أحمد الإبراهيمي
- ٢ - الإنسان المتعدد طيبة أحمد الإبراهيمي
- ٣ - انقراض الرجل طيبة أحمد الإبراهيمي
- ٤ - الحياة مرة أخرى نوال مصطفى
- ٥ - نوم العازب محمد حسن الألفي
- ٦ - الإعلام والمخدرات د. نوال عمر
- ٧ - من شرفات التاريخ ، ج١ د. محمد رجب البيومي
- ٨ - فكر وفن وذكريات لوسى يعقوب
- ٩ - أم كلثوم مجدى سلامة
- ١٠ - المرأة العاملة سوزان عبد المجيد أغا
- ١١ - ساعة الحظ محمد حسن الألفي
- ١٢ - من شرفات التاريخ ، ج٢ د. محمد رجب البيومي
- ١٣ - الملاح الخفية (جبران ومي) لوسى يعقوب
- ١٤ - شعرة معاوية وملك بنى أمية عرفات القصبي قارون
- ١٥ - عبد الحلیم حافظ مجدى سلامة
- ١٦ - محمد عيد الوهاب مجدى سلامة
- ١٧ - الشخصية السوية يوسف ميخائيل أسعد
- ١٨ - الشخصية المتطورة يوسف ميخائيل أسعد
- ١٩ - الشخصية القيادية يوسف ميخائيل أسعد
- ٢٠ - الشخصية المبدعة يوسف ميخائيل أسعد
- ٢١ - سيكولوجية الهدوء النفسى يوسف ميخائيل أسعد
- ٢٢ - قادة الفكر الفلسفى يوسف ميخائيل أسعد
- ٢٣ - سيكولوجية الفكر يوسف ميخائيل أسعد
- ٢٤ - سيكولوجية العاطفة يوسف ميخائيل أسعد
- ٢٥ - سيكولوجية الإرادة يوسف ميخائيل أسعد

١٠٨ - الإمكانيات الغيرية

١٠٩ - الإمكانيات المالية

الفصل السابع عشر : إرادة الاعتكاف واستبطان الذات :

١١٢ - التقاط الأنفاس

١١٤ - تجميع شتات النفس

١١٦ - الإمساك بأول الخيط

الفصل الثامن عشر : الإرادة الفردية :

١١٩ - إرادة البقاء وإرادة الموت

١٢١ - إرادة التميز

١٢٢ - إرادة الدفاع عن النفس

١٢٤ - إرادة التضحية

١٢٤ - إرادة تقدير الذات

الفصل التاسع عشر : الإرادة الجماعية :

١٢٦ - تراكبية الإرادة الجماعية

١٢٨ - تفاعلية الإرادة الجماعية

١٢٩ - تطورية الإرادة الجماعية

١٣٠ - استمرارية الإرادة الجماعية

الفصل العشرون : التربية والإرادة :

١٣٢ - التربية الجسمية

١٣٣ - التربية العقلية

١٣٥ - التربية الوجدانية

١٣٦ - التربية الأخلاقية

رقم الإبداع : ٢٢٦٣

www.dvd4arab.com

الترقيم الدولى : ٨ / ٠٥٩ / ٢٦٦ / ٩٧٧



يوسف ميخائيل أسعد

سيكولوجية الإرادة

هذا الكتاب ضمن سلسلة الكتب التي نشرت للمؤلف حول موضوع الإرادة ، فصدر منها كتاب «قوة الإرادة» ثم كتاب «إرادة القوة» ، وهذا الكتاب «سيكولوجية الإرادة» ، وهو يضم عشرين فصلاً تتناول زوايا متباينة لموضوع الإرادة . ومن يريد أن يقف على اتجاهات المؤلف السيكولوجية بإزاء موضوع الإرادة ، فإن عليه أن يطلع على الكتب الثلاثة مع التركيز على هذا الكتاب ، وهي جميعاً من صميم فكر المؤلف ونابعة من دراساته واتجاهاته الشخصية .

الناشر